الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٣ - ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٤ - السنة الثانية

2me Année, No. 63.

Lundi-17-9-1934

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

العــدد ٦٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٥٣ — ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العــدد

على ذكر اعانة الكبتن كرسويل

تشجيع التـــأليف

أذاعت الصحف نبأ هذه الهبات السخية التى أغدقتها وزارتا المعارف والأوقاف على الكبتن كرسويل المحاضر المنتدب بالجامعة المصرية فى الآثار الاسلامية ، وقد بلغ مجموع هــذه الهبات بضعة آلاف جنيه ، دفعت اليه معاونة له على إخراج مؤلف يضعه بالانكليزية عن العمارة الاسلامية فى مختلف العصور ؛ وقد أخرج منه الى الآن الجزء الأول من أربعة أجزاء ، ويتعهد الأستاذ كرسويل مقابل هذا السخاء الحاتمى الذى شملته به الحكومة المصرية أن يسمح لوزارة المعارف بترجمة مؤلفه الى العربية ، وأن « يهدى اليها » خمسين نسخة من كتابه .

وتشجيع المباحث العلمية والتاريخية على هذا النحو أمر مستحب لذاته . ولنترك البحث فيما إذا كانت جهود الأستاذ كرسويل ومباحثه جديرة بمثل هذا التشجيع . ذلك أننا نحمد المبدأ لذاته ونؤيده بكل قوانا ؛ بيد أنا نود أن نلاحظ أنه لم يسبق لوزارة المعارف أو وزارة الأوقاف أن أبدت مثل هذا العطف أو أسبغت مثل هذه الرعاية على أحد من المصريين الذين يشتغلون بهذه المباحث أو غيرها ، مما يجدر تقديره وتشجيعه ؛ ولم تضع

وزارة المعارف أو الجامعة المصرية وغيرها من الهيئات العلمية الرسمية لنفسها أى تقاليد فى هذا الشأن بالنسبة للعلماء المصريين ، وإن كان من تقاليدها أن تشجع العلماء الأجانب لأى مناسبة .

وربما قيل فى ذلك إن المباحث العلمية والتاريخية لم تبلغ فى مصر مستواها المنشود من التقدم والنضوج ، وأن جهود العلماء المصريين لم تظهر بعد بمظهر يجدر بالتقدير والتشجيع . ولكنا نبادر فنقول إن هذا الاعتراض لم يبق له محل بعد ، وإنه يرجع الى نوع من التحامل القديم الذى نألفه دائماً فى حكومات يطبعها الأجنبى بوحيه وتأثيره ، والذى يتخذ مظهره فى انتقاص الجهود القومية والاغضاء عن تقديرها وتشجيعها حتى لا تنمو وتزدهر وتكون قوة معنوية فى الأمة . ومن التحامل أن ننكر أنه يوجد بين العلماء والباحثين المصريين عدة ممن ينافسون الكبتن كرسويل ومن هم فى مستواه من العلماء الأجانب ، على الأقل فى ميدان المباحث الاسلامية ؛ وإنه إذا كانت جهودهم مغمورة غير ظاهرة ، فذلك لأنهم يعملون فى جو من العزلة واليأس ، ولا يأنسون لدى حكومتنا أو لدى هيئاتنا العلمية أى عطف أو تشجيع . وإذا سلمنا جدلاً بأن علماءنا وباحثينا لم يبلغوا بعد من العلم والكفاية مابلغه أمثال صاحب كتاب العمارة الاسلامية ، فانه ليس من الحكمة أو العدل أن يتركوا حيث هم ؛ وأن تضن عليهم حكومتهم بالعطف والتشجيع ؛ وإنما السبيل الى شحذ هممهم ومواهبهم وإبراز جهودهم فى المستوى اللائق ، هو أن تشملهم حكومتهم بشىء من ذينك العطف والبذل اللذين تغدقهما على العلماء الأجانب .

خذ مثلاً مسألة المباحث الأثرية التى كانت الى ماقبل أعوام فقط وقفاً على العلماء الأجانب . فقد لبث المصريون نحو قرن محرومين من التنقيب عن آثارهم فى نفس بلادهم وأرضهم ؛ وكانت البعثات الأجنبية والعلماء الأجانب يستأثرون بهذه المباحث فى أرضنا بفكرة أنهم دون غيرهم يستطيعون إجراءها . ومع أن معظم آثارنا الفرعونية قد تسربت على يدهم الى الخارج ، وغصت بها المتاحف الأجنبية فى مختلف أنحاء العالم ، فان حكومتنا لم تكن تضن عليهم بكل صنوف التشجيع المادى والمعنوى . فلما أن قررت الجامعة المصرية إجراء بعض الحفريات على يد بعض أساتذتها من المصريين ، ولما بذل للمصريين ما كان يبذل لزملائهم الأجانب من العون والتشجيع ، ظهرت كفاية المصريين ناصعة فى الكشف عن آثار بلادهم واستقرائها ، وظهر خطأ النظرية القديمة الجائرة التى كانت تنكر على المصريين كل كفاية لتقصيهم عما هو من صميم حقوقهم وميادينهم لكى يتسع المجال للأجانب .

لقد ظهرت فى العهد الأخير طائفة قيمة من التآليف والمباحث الاسلامية ، والآثار الأدبية الرفيعة ، ولقيت كثيراً من التقدير بين العلماء الأجانب ؛ فماذا كان نصيبها من التشجيع الرسمى فى مصر ؟ كل مايطمح اليه المؤلف الذى أنفق كل ذكائه ووقته وماله على اخراج مؤلفه ، هو أن تتفضل عليه وزارة المعارف بتقرير كتابه لمكتبات مدارسها وشراء بضع عشرات نسخ منه ، وذلك بعد أن تفحصه لجنة فنية تقره وتوصى به ، وهذا كل ما يعرفه المؤلفون المصريون من تشجيع وزارة المعارف ، ولا يحظى بهذه المؤازرة الضئيلة سوى القليلين منهم . أما أن تشمل وزارة المعارف برعايتها مجهوداً علمياً أو أدبياً معيناً قبل أن يتم إخراجه ، وتبذل لصاحبه شيئاً من العون المادى على نحو ما فعلت مع الكبتن كرسويل ، الذى استطاع بمجرد الطلب أن يحمل ولاة الأمر على بذل هذه الآلاف المؤلفة له قبل أن يتم مؤلفه أو يخرج منه سوى الجزء الأول فقط ، — فهذا أمر لم نسمع به قط ، ولا نعتقد أنه تقرر بعد بالنسبة للمصريين فى تقاليد وزارة المعارف

على أننا نرجو أن يكون فى الضجة التى أحدثها تصرف وزارة المعارف ووزارة الأوقاف فى هذه المسألة ، والأثر المؤلم الذى تركته فى أذهان المصريين جميعاً ، ما يلفت نظر ولاة الأمر فى وزارة المعارف وفى غيرها من الهيئات الحكومية المتصلة بالشئون العلمية والأدبية ، إلى التفرقة الجائرة بين المصريين والأجانب فى نفس الميدان الواحد ، وإيثار الأجانب على المصريين بالعطف والتشجيع

لا بأس أن تشجعوا العلماء الأجانب بأموال المصريين ، وإن كان هذا التشجيع لا يصادف أهله فى معظم الأحيان ، ولكن الحكمة والعدالة وحسن الذوق تقضى كلها بأن يبذل للعلماء والكتاب المصريين من أموال المصريين أضعاف ما يبذل لزملائهم الأجانب حتى لا تبقى جهودهم ضحية الانتقاص والنسيان والنكران . « ع »

س . ا . ع

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

هؤلاء ثلاثة من الأدباء تجمعهم صفة العُزوبة ، ويحبّون المرأة حباً خائفا يقدّم رِجلاً ويؤخر أخرى ؛ فلا يُقبل إلا أدبر ، ولا يعزم إلا انحلّ عزمه . بلغوا الرجولة وكأنْ ليست فيهم ؛ وتمرّ بهم الحياة مرورَها بالتماثيل المنصوبة ، لاهذه قد وُلِدلها ولا أولئك ؛ ومابرحوا يجاهدون ليحتملوا معانيَ وجودهم ، لاليطلبوا سعادة وجودهم ، ويُمَخْـرِقون فى شعوذة الحياة بالنهار على الليل وبالليل على النهار ، يحاولون أن يجدوا كالناس أياماً وليالىَ ، إذ لايعرفون لأنفسهم من العزوبة إلا نهاراً واحداً نصفه أسود مُقفر مظلم .

فأما « س » فرجل « كشيخ المسجد » يكاد يرى حصير المسجد حيث وطئت قدماه من الأرض . . . ذو دينٍ وتقوى مازال بهما ينقبضُ وينكمشُ ويَتزَايل حتى يرجع طفلاً فى الثلاثين من عمره . . . وهو حائر بائر لايتجه لشيء من أمر المرأة وقد فَقَدَ منها مايحلّ وما يحرم ، ولاجرأة لنفسه عليه فلا جرأة له على المُوبقات ، ولا يزين له الشيطان ورطةً منها إلا امّلَسَ منه ، فان له ثلاثة أبواب مفتوحة للهرب ؛ إذ يخشى الله ، ويتوقّى على نفسه ، ويستحيي من ضميره .

وأما « ا » فرجل مِعْزابةٌ ، ولكنه كالاسفنجة امتلأت حتى ليس فيها خلاء لقطرة ، ثم عُصِرت حتى ليس فيها بَلال من قطرة ؛ وقد بلغ مافى نفسه وقضى نَهْمتَه حتى اشتفى مما أراد ؛ ثم قلب الثوب . . . فاذا له داخلةٌ ناعمة من الخزّ والديباج ، وإذا هو « الرجل الصالح » العفيفُ الدّخْلَة ماتنطلق له نفسٌ إلى مأثم ، ولا يعرف الشيطانُ كيف يتسبّب لصلحه ومراجعته الود . .

وأما « ع » فهو كالأعرج ؛ إذا مشى إلى الخير أو الشر مشى بطيئاً برجلٍ واحدة ، ولكنه يمشى . . وهو « ملك الشوارع » لايزال فيها مقبلاً مدبراً طرَفا من النهار وزُلَفاً من الليل ؛ فاذا لم يكن فى الشارع نساء ظنّ الشارعَ قد هرب من المدينة وخرج من طاعته . ولهذه الشوارع أسماء عنده غير أسمائها التى يتعارفها الناس ويستدلّون بها . فقد يكون اسم الشارع مثلاً « على الحكيم » ويسميه هو « شارع مارى » . . . ويكون اسم الآخر « شارع كتشنر » فيسميه « شارع الطويلة » . . . ودَرْبٌ اسمه « درب الملاّح » واسمه عنده « درب المليحة » . . وهلم جرّا ومَسْخاً . وإذا أراد صاحبُنا هذا أن يسخر من الشيطان دخل المسجد فصلّى ، وإذا أراد الشيطان أن يسخر منه دحرجه فى الشوارع . . .

* * *

وافيتُ هؤلاء الثلاثة مجتمعين يتدارسون مقالة « تربية لؤلؤية »(١) يناقشونها بثلاثة عقول ، ويفتّشونها بستّ عيون ؛ فأجمعوا على أن المرأة السافرة التى نبذت « حجابَ طبيعتها » على مابيّنته فى تلك المقالة — إن هى إلا امرأة مجهولة عند طالبي الزواج بقدر مابالغتْ أن تكون معروفة ، وأنها ابتعدت من حقيقتها الصحيحة قدر ما اقتربتْ من خيالها الفاسد ، وأتقنتْ الغلط ليصدّقها فيه الرجل فلم يكذبْها فيه إلا الرجل ، وجعلتْ أحسنَ معانيها ما ظهرت به فارغةً من أحسن معانيها . . . !

وأردت أن أعرف كيف تنتصف الطبيعة من الرجل العَزَب للمرأة التى أهملها أو تركها مهملة . . . وأين تبلغ ضرباتها فى عيشه ، وكيف يكون أثرها فى نفسه ، وكيف تكون المرأة فى خائنة الأعين ؛ فتسرحت مع أصحابنا فى الكلام فنّا بعد فن ، وأزلتُ حِذارهم الذى يحذرون حتى أفضَوْا إلىّ بفلسفة عقولهم وصدورهم فى هذه المعانى .

قال « س » : حسبى والله من الآلام وآلام معها — شعورى بحرمانى المرأة ؛ فهو بلاء منعني القرار ، وسلبنى السكينة ؛ وكأنه شعور بمثل الوحدة التى يعاقَب السجينُ بها مصروفا عن الحياة مصروفةً عنه الحياة ؛ تجعله جدرانُ سجنه يتمنى لوكان حجراً فيها فينجوَ من عذاب إنسانيته الذليلة المجرمة المخلّىّ بينها وبينه توسِعةُ مما يكره ؛ شعورٌ بالوحدة والعُزلة حتى مع الناس وبين الأهل ، فما فىّ إلاعواطفُ خُرسٌ لاتستجيب لأحد ولايجاوبها أحد فى « ذلك المعنى » .

وتمام الذلّة أن يجد العَزَبُ نفسَه أبداً مُكرَهاً على الحديث عن آلامه بكلّ من يخالطه أو يجلس إليه ، كأنه يحمل مصيبة لا ينفّس منها إلا الكلامُ عنها . وهذا هو السرّ فى أنك

(١) نشرت بالعدد ٦١ من الرسالة .

لا تجد عزباً إلا عرفته ثرثاراً لا تزال في لسانه مقالة عن معنى أو رجل أو امرأة ، وأصبته كالذباب لا يطير عن موضع إلا ليقع على موضع .

ومع جهد الحرمان جهد شر منه في المقاومة وكف النفس ، فذلك تعب يهلك به الآدمي إذ لا يدعه يتقار على حالة — من الضجر — فيما تنازعه الطبيعة إليه ، وهو كالمنزع في أعصابه يحسها تشد لتقطع ، ودائماً تشد لتقطع .

وقد رهقني من ذلك النضني النسوي ماعيل به صبري وضعف له احتمالي ؛ فما أراني يوماً على جمام من النفس ، ولا ارتياح من الطبع ؛ وكيف وفي القلب مادة همه ، وفي النفس علة انقباضها ، وفي الفكر أسباب مشغلته ؟ وقد أوقدت سورة الشباب نارها على الدم ، تلتعج في الأحشاء ؛ وتطير في الرأس ، وتصبغ الدنيا بلون دخانها ، وفي كل يوم يتخلف منها رماد هو هذا السواد الذي ران على قلبي .

وما حال رجل عذابه أنه رجل ، وذله أنه رجل ؟ يلبس ثيابه الانسانية على مثل الوحش في سلاسله وأغلاله ، ويحمل عقلاً تسبه الغريزة كل يوم ، وتراه من العقول الزيوف لا أثر للفضيلة فيه ؛ إذ هو مجنون بالمرأة جنون الفكرة الثابتة ، فما يخلو إلى نفسه ساعة أو بعض ساعة إلا أخذته الغريزة مجترحاً جريمة فكر . . .

وفي دون هذا ينكر المرء عقله ؛ وأي عقل تراه في رجل عزب يقع في خياله أنه متزوج ، وأنه يأوي إلى « فلانة » وأنها قائمة على إصلاح شأنه ونظام بيته ، وأنه من أجلها كان عزوفاً عن الفحشاء بعيداً من المنكر ، وفاء لها ، وحفظاً لعهد الله فيها وقد دلهته بفنونها التي يبتدعها فكره ؛ وهي ساعة تؤاكله على الخوان ، وساعة تضاحكه ، ومرة تعابثه ، وتارة تجافيه ، وفي كل ذلك هو ناعم بها ، يحدثها في نفسه ، ويسمر معها ، ويتصنع لها وتتصنع له ؛ ويعاتبها أحياناً في رقة ، وأحياناً في جفاء وغلظة ؛ وقد ضربها ذات مرة . . ؟

ألا إن المرأة عندي هي هذا الجنون الذي يرجع بي إلى عشرة آلاف سنة من تاريخ الدنيا ، فيرمي بي في كهف أو غابة رجلاً عارياً متوحشاً متأبداً ليس من الحيوان ولا من الانس ، دنياه أحجار وأشجار ، وهو حجر له نمو الشجر .

لقد توزعت المرأة عقلي فهو متفرق عليها وهي متفرقة فيه ، لا أستطيع والله أن أتصورها كاملة ، بل هي في خيالي أجزاء لا يجمعها كل ؛ هي ابتسامة ، هي نظرة ، هي ضحكة ، هي أغنية ، هي جسم ، هي شيء هي هي هي . أكل تلك المعاني هي المرأة التي يعرفها الناس ، أم أنا لي امرأة وحدي ؟

وإني على ذلك لأتخوف الزواج وأتحاماه ؛ إذ أرى الشارع قد فضح النساء وكشفهن ؛ فما يريني منهن إلا امرأة تزهى بثيابها وصنعة جمالها ، أو امرأة كالهاربة من فضائلها ؛ والبيت إنما يطلب الزوجة الفاضلة الصناع ، تخيط ثوبها بيدها فتباهي بصنعته قبل أن تباهي بلبسه ، وتزهى بأثر وجهها فيه ، لا بأثر المساحيق في وجهها . وإن مكابدة العفة ، ومصارعة الشيطان ، وتوهج القلب بناره الحامية ، وإلمام الطيرة الجنونية بالعقل — كل ذلك ومثله معه أهون من مكابدة زوجة فاسدة العلم أو فاسدة الجهل ، أبتلى منها في صديق العمر بعدو العمر .

إن أثر الشارع في المرأة هو سوء الظن بها ، فهي تحسب نفسها معلنة فيه أنوثتها وجمالها وزينتها ، ونحن نراها معلنة فيه سوء أدب وفساد خلق وانحطاط غريزة . ومن كان فاسقاً أساء الظن بكل الفتيات ، ووجد السبيل من واحدة إلى قول يقوله في الأخرى ؛ ومن كان عفيفاً سمع من الفاسق فوجد من ذلك متعلقاً يتعلق به ، وقياساً يقيس عليه ؛ والفتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة .

آه لو استطعت أن أوقظ امرأة من نساء أحلامي . . . !

***

وقال « ا » : لقد كانت معاني المرأة في ذهني صوراً بديعة من الشعر تستخفني إليها العاطفة ، ولا يزال منها في قلبي لكل يوم نازلة تنزو . وكانت المرأة بذلك حديث أحلامي ونجي وساوسي ، وكنت عفيف البنطلون (١) ؛ ولكن النساء أيقظنني من الحلم ، وفجعنني فيه بالحقيقة ، ووضعن يدي على ما تحت ملمس الحية . ولو حدثتك بجملة أخبارهن ، وما مارست منهن لتكرهت وتسخطت ، ولأيقنت أن كلمة تحرير المرأة إنما كانت خطأ مطبعياً ، وصوابها : تجرير المرأة . . فهؤلاء

(١) يقول العرب في الكناية عن العفة : هو عفيف الازار ، وترجمتها في عصرنا ما رأيت .

النساء أو كثرتهن — لم يُبذِلْن الحجاب إلا لتخرج واحدة مما تجهل إلى ماتريدأن تعرف ، وتخرج الأخرى مما تعرف الى أكثر مما تعرفه ، وتخرج بعضهن من إنسانة إلى بهيمة

لقد عرفتُ فيمن عرفت منهن الخفيفة الطيّاشة ، والحمقاء المتساقطة ، والفاحشة ذات الريبة ؛ وكل أولئك كان تحريرهن أى تجريرهن — تقليداً للمرأة الأوربية ؛ تهالكْن على رذائلها دون فضائلها ، واشتدّ حرصهن على خيالها الروائى دون حقيقتها العلمية ، ومن مصائبنا نحن الشرقيين أننا لانأخذ الرذائل كما هى ، بل نزيد عليها ضَعْفَنا فاذا هى رذائل مضاعَفة .

كان الحلم الجميل فى الحجاب وحده ، وهو كان يُسعر أنفاسى ويستطير قلبى ، ويرغمنى مع ذلك على الاعتقاد أن ههنا علامة التكرّم ورمز الأدب وشارة العفة ، وأن هذه المحصّنة المخدّرة عذراءَأوامرأةً لم تُلقِ الحجابَ عليها إلا إيذاناًبأنها فى قانون عاطفة الأمومة لاغيرها ؛ فهى تحت الحجاب لأنه رمز الأمانة لمستقبلها ، ورمزُ الفصل بين مايحسن وما لا يحسن ، ولأن وراءه صفاءَ روحها الذى تخشى أن يكدّر ، وثباتَ كِيانها الذى تخشى أن يُزْعزع .

قال حكيم لأولئك الذين يستميلون النساء بأنواع الحلى وصنوف الزينة والكسوة الحسنة : « ياهؤلاء ، إنكم إنما تعلمونهن محبةَ الأغنياء لامحبة الأزواج » وأحكم من هذا قول ذلك الرجل الالٰهىّ الصارم عمر بن الخطاب : « إضربوهن بالعرى . » فقد عرف من ألف وثلثمائة سنة أن تحرير المرأة هو تجريرها ، وأنها لاتخرج لمصلحة أكثر مما تخرج لاظهار زينتها . فلو مُنِعت الثياب الجميلة حبستْها طبيعتها فى بيتها . فماذا تقول الشوارع لو نطقت ؟ إنها تقول : ياهؤلاء ، إنما تعلمونهن معرفة الكثير لا معرفة الواحد . . . !

لقد والله أنكرت أكثر ما قرأت ، وسمعت من محاسنهن وفضائلهن وحيلهن . ولقد كان الحجاب معنىً لصعوبة المرأة واعتزازها ، فصار الشارع معنىً لسهولتها ورخصها ؛ وكان مع تحقُّق الصعوبة أو توَهُّمها أخلاقٌ وطباعٌ فى الرجل ، فصار مع توهم السهولة أو تحقُّقها أخلاق وطباع أخرى على العكس من تلك ما زالت تَنْمى وتتحول حتى ألجأت القانون أخيراً أن يترقّ بمن لمس المرأة فى الطريق من « الجنحة » إلى « الجناية » . وتخنّث الشبان والرجال ضروباً من التخنُّث بهذا الاختلاط وهذا الابتذال ، وتحلّلت فيهم طباع الغيرة ، فكان هذا سريعاً فى تغيير نظرتهم إلى النساء ، وسريعاً فى إفساد اعتقادهم ، وفى نقض احترامهم ، فأقبلوا بالجسم على المرأة وأعرضوا عنها بالقلب ، وأخذوها بمعنى الأنوثة وتركوها بمعنى الأمومة ؛ ومن هذا قل طلاب الزواج ، وكثر رُوّاد الخنا .

ولقد جاءت الى مصر كاتبة إنجليزية وأقامت أشهراً تخالط النساء المتحجبات وتدرس معانى الحجاب ، فلما رجعت الى بلادها كتبت مقالاً عنوانه «سؤال أحمله من الشرق الى المرأة الغربية» قالت فى آخره : « إذا كانت هذه الحرية التى كسبناها أخيراً ، وهذا التنافس الجنسى ، وتجريد الجنسين من الحجب المشوّقة الباعثة التى أقامتها الطبيعة بينهما — إذاكان هذا سيصبح كل أثره أن يتولى الرجال عن النساء ، وأن يزول من القلوب كل مايحرّك فيها أوتار الحب الزوجى فما الذى نكون قد ربحناه ؟ لقد والله تضطرنا هذه الحال الى تغيير خططنا ، بل قد نستقرّ طوعا وراء الحجاب الشرقى ، لنتعلم من جديد فنّ الحب الحقيقى . »

* * *

وقال « ع » : لست فيلسوفا ، ولكن فى يدى حقائق من علم الحيـــاة لاتأتى الفلسفة بمثلها ، وكتابى الذى أقرأ فيه هو الشارع . فأعلم أن العُزّاب من الرجال يتعلم بعضهم من بعض ، وهم كاللصوص لايجتمع هؤلاء ولاهؤلاء إلا على رذيلة أو جريمة . وحياة اللص معناها وجود السرقة ، وحياة العزب معناها وجود البغاء والفسق .

ومن حكم الطبيعة على الجنسين أن الفاسق يباهى باظهار فسقه قدرما تخاف الفاسقة من ظهور أمرها ؛ وهذه إشارة من الطبيعة الى أن المرأة مسكينة مظلومة . فما ابتذال الحجاب ، ولا استهتاك النساء إلا جواب على انتشار العزوبة فى الرجال ، وكيف يتحول الماء ثلجاً لولا الضغط نازلاً فنازلا إلى ما دون الصفر ؟ فهذا الثلج ماءٌ يعتذر من تحوُّلِه وانقلابه بعذر طبيعى قاهر له قوة الضرورة الملجئة ، وكذلك المرأة المذالّة أو الطامحة أو المتبذلة أو المتهتكة — ماصفاتهن إلا توكيد لأعذارهن . وكان على الحكومة أن تضرب العزوبة ضربةَ قانون صارم ، فالعزب وإن كان رجلاً حراً فى نفسه ، ولكن رجولته تفرض للأنوثة حقّها فيه ، فمتى جحد هذا الحق واستكبر عليه رجع حاله مع المرأة إلى مثل شأن الغريم مع غريمه ؛ ليس للفصل فيه إلا الدولة وأحكامُها وقوتها التنفيذية .

وإذا أطلقت الحرية للرجال فصاروا كلهم أو أكثرهم أعزاباً

فماذا يكون إلا أن تمحى الدولة ، وتسقط الأمة ، وتتلاشى الفضائل ؟ فالعزوبة من هذا جريمة بنفسها ، ولا ينبغي أن تتربص بها الحكومة حتى تعمّ ، بل يجبْ اعتبارها باعتبار الجرائم من حيث هى ، ويجب تفسير كلمة « العَزَب » فى اللغة بمثل هذا المعنى : إنها شخصية مذكَّرة ساخطة متمردة على حقوق مختلفة للمرأة والنسل والأمة والوطن .

وما ساء رأى العزاب فى النساء والفتيات إلا من كونهم بطبيعة حياتهم المضطربة لا يعرفون المرأة إلا فى أسوإ أحوالها وأقبح صفاتها ، وهم وحدهم جعلوها كذلك .

إن لهم وجودا محزنا يستمتعون فيه ولكنهم يَهْلكون ويُهْلِكون به . هم والله أساتذة الدروس السافلة فى كل أمة ، وهم والله بغاة من الرجال فى حكم البغايا من النساء ، يَجْرُون جميعاً مجرى واحداً . ومن هى البَغِىّ فى الأكثر إلا امرأة فاجرة لا زوج لها ؟ ومن هو العزب فى الأكثر إلا رجل فاسق لا زوجة له ؟ على أن مع المرأة عذرَ ضعفها أو حاجتها ، ولكن ما عذر الرجل ؟

ماذا تفيد الدولة أو الأمة من هذا العزب الذى اعتاد فوضى الحياة ، وسَيرها على غير نظامها ، وتحقُّقَها على أسخف ما فيها من الخيال والحقيقة ؛ وأى عزب يجد الاستقرار أو تجتمع له أسباب الحياة الفاضلة ، وهو قد فقد تلك الروح التى تتمم روحه وتنقحها وتمسكها فى دائرتها الاجتماعية على واجباتها وحقوقها ، وتجيئه بالأرواح الصغيرة التى تشعره التبعة والسيادة معاً ، وتمتدّ به ويمتدّ بها فى تاريخ الوطن .

كيف يُعتبر مثلُ هذا موجوداً اجتماعياً صحيحاً وهو حىّ مختلّ فى وجود مستعار ، يقضى الليل هارباً من حياة النهار ، ويقضى النهار نافراً من حياة الليل ؛ فيقضى عمره كله هارباً من الحياة ، وكأنه لا يعيش بروحه كاملة ، بل ببعضها ، بل بالممكن من بعضها .. !

أيّة أسرة شريفة تقبل أن يساكنها رجل عزب ، وأيّة خادم عفيفة تطمئن أن تخدم رجلاً عزباً ؟ هذه هى لعنة الشرف والعفة لهؤلاء الأعزاب من الرجال !

قال الراوى : وهنا انتفض « س » و « ا » وحاولا أن يقبضا على هذه اللعنة ويرداها إلى حلق « ع » . ثم سألنى ثلاثتهم أن أسقطها من المقال ، بيد أنى رأيت أن خيراً من حذفها أن تكون اللعنة لأعزاب الرجال إلا « س » و « ا » و « ع » . . ؟

طنطا مصطفى صادق الرافعى

أعظم حادث فى حياة روسو :

٢ ـ روسو ومدام دى فرِنْس

للأستاذ محمد عبد الله عنان

والحقيقة أن مدام دى ڤرنس نفثت فى چان چاك ضرباً غريباً من السحر والجوى ، لاهو بالحب الجنسى الخالص ، ولاهو بالحب البنوى الخالص ، ولاهو بالصداقة الحميمة ، بل كان مزيجاً من ذلك كله ، يقترن بنوع من عبادة الجمال والسحر ، وعاطفة عميقة من العرفان وشكر الصنيعة . وسنرى أن له الى جانب هذه الناحية الأفلاطونية ناحية أخرى . وعلى أى حال فقد كان لهذا السحر الذى بثته مدام دى ڤرنس فى چان چاك أعظم أثر فى تكوين عواطفه وفلسفته فى الجمال والحب والمرأة ، وكان مستقى خياله ومشاعره فى بضعة الأعوام التالية التى اكتمل فيها شبابه ، وتفتحت أمامه عوالم الحياة . وفى ظلال هذه السعادة أقام چان چاك معززاً مكرماً يقضى أوقات فراغه فى القراءة ودرس الموسيقى والأحلام اللذيذة ، والسمر مع مدام دى ڤرنس . وكان يشعر أن السعادة قد بلغت ذروتها ، وأنها لذلك لن تدوم ، ويرتجف فرقا كلما تصور يوم البعاد وانقضاء هذا العهد الأمثل .

وأقام روسو على هذا النحو زهاء عام وبعضه ، ثم رأت مدام دى ڤرنس أن ترسله الى ليون لقضاء بعض المهام ، فسافر اليها ، ولم يغب سوى أيام قلائل . ولكنه لما عاد الى أنسى لم يجد « أمه » وموئل سعادته ، ولم يستطع أن يعلم شيئاً عن غيابها سوى أنها سافرت الى باريس مع خادمها كلود آنيه ، فلم ير سبيلا سوى الانتظار ، وأقام وحده بالمنزل يتنسم أخبارها وموعد عودها ، وهو يدرس الموسيقى ويؤلف الأناشيد . وهنا يقص علينا روسو عدة حوادث غرامية تافهة وقعت له خلال هذه الفترة . وكانت معرفته بالموسيقى سبباً فى اتصاله ببعض الهواة . ولما طالت غيبة مدام دى ڤرنس ، سافر الى جنيف ، ثم الى نيوشاتل ، وهناك استقر حيناً يكسب عيشه بتدريس الموسيقى ، ولكن شبح مدام دى ڤرنس كان يساوره أبداً ، وكان العود اليها أبداً أعز أمانيه ، فلم تمض عليه بضعة أشهر فى هذا التجوال حتى عاد الى ساڤوا . وكانت مدام دى ڤرنس ، قد غادرت يومئذ أنسى الى شامبرى

واستقرت هناك . فسافر اليها وتحققت أمنيته بالمقام الى جانبها كرة أخرى ، واستطاع بنفوذها أن يحصل على وظيفة فى ديوان مسح الأراضى فى تلك الناحية نفسها ، فكانت سعادة مزدوجة ، وكان الهدوء والسكينة والاستقرار ، وكان ذلك سنة ١٧٣٢

وهنا فقط يكتشف روسو حقيقة مرة غابت عنه طيلة هذه الأعوام الثلاثة ؛ تلك هى علاقة مدام دى ڤرنس بخادمها وأمينها كلودآنيه ؛ فقد عرف روسو فجأة أن الخادم ينعم بحب سيدته ؛ وعرف ذلك من مدام دى ڤرنس ذاتها ، ففى ذات يوم ثارت بين السيدة وخادمها مناقشة عاصفة وجهت اليه خلالها بعض الألفاظ الجارحة ؛ فهرول كلود آنيه خفية الى زجاجة من « اللادونوم » فابتلع ما فيها لكى يزهق نفسه ، ثم أوى الى غرفته ينتظر حشرجة الموت ؛ ورأت سيدته وخليلته الزجاجة الفارغة فأدركت الأمر ، وهرولت صارخة الى غرفته ، ونادت روسو واعترفت له بكل شىء ورجت منه العون ؛ فعاونها على إسعافه ، ونجا الخادم المحبوب . ودهش روسو لغبائه إذ خفيت عليه هذه الحقيقة من قبل . ولكنه لم يشعر نحو كلودآنيه بشىء من الحقد ، برغم أنه يسلبه معبودة قلبه ، لأنه يحرص على سعادتها وهنائها .

***

ولبث روسو مدى الأعوام التالية الى جانب مدام دى ڤرنس ، ولم يفارقها إلا فى فترات قليلة ولأسباب طارئة . كانت شامبرى موطنه ومستقره ، وكانت مدام دى ڤرنس أمه وأسرته وكل شىء فى الوجود بالنسبة اليه . وكانت الحياة عندئذ هادئة منظمة ، وقد أخذ روسو يشعر بشىء من الثقة بنفسه وبمستقبله ؛ وكان يوزع وقته بين عمله ، ودرس الموسيقى ، ومدام دى ڤرنس . وكانت ثمة سعادة أخرى لم يكن يتوقعها روسو ، ترفرف عليه فى ذلك المقام الرغد ، بل كان ثمة حادث لعله أعظم مفاجأة فى حياة روسو . ذلك أن علاقته الساذجة الافلاطونية مع مدام دى ڤرنس تحولت فجأة الى علائق حب عملى . ولذلك التحول قصة غريبة يرويها لنا روسو فى عدة صفحات ساحرة مؤثرة . فقد كان روسو يعطى دروساً فى الموسيقى لبعض أكابر السيدات فى شامبرى ، وكانت علائقه النسوية تزداد بذلك يوماً عن يوم ؛ وكان بين أولئك السيدات ، سيدة تدعى الكونتة دى منتون كان روسو يعلم ابنتها الغناء ؛ وكانت سيدة مضطرمة الأهواء تحب الدسائس الغرامية ، وبينها وبين مدام دى ڤرنس صلة ومنافسات نسوية . فلما اتصلت بجان جاك وقدرت ذكاءه ومقدرته على الكتابة الساحرة ونظم الأناشيد والأغانى ، فكرت فى استهوائه والانتفاع بمقدرته ، واستقبلته بعطف وإكرام ، وشعرت مدام دى ڤرنس بذلك ، ففكرت فى انقاذ روسو من شراكها وشراك غيرها من النسوة اللائى يحطن به . والتمست لذلك أغرب وسيلة يمكن تصورها . فاختلت بروسو ذات يوم ، وأفهمته أنها لم تر وسيلة لانقاذه من أخطار الشباب سوى أن تقدم نفسها اليه ، وأن تفتدى بجسمها كل ما يهدده من الأخطار ، وأنها تمهله ثمانية أيام للتفكير والعزم . ويقول لنا روسو إنه دهش لهذه المفاجأة أيما دهشة ، وإنه لم يكن يتوقع قط هذا المصير لعلائقه مع المحسنة اليه ؛ بيد أنه يقول لنا إن ذهنه لم يكن بعيداً عن تصور هذه السعادة ؛ فقد كان يضطرم جوى نحو النساء ؛ ولم يكن قد لامس إحداهن بعد ؛ وإن مدام دى ڤرنس وإن كانت تكبره بنحو عشر سنين ، كانت ما تزال فتية فتانة وافرة الأنوثة والسحر ، ولم يثره أنها كانت خليلة غيره ، وأنها بذلك توزع متاعها على أكثر من رجل ، فقد كانت هذه الشركة مؤلمة حقاً ، ولكنها لم تغير ذرة من عواطفه نحوها .

ويحاول روسو أن يحلل عواطفه نحو مدام دى ڤرنس مرة أخرى . لقد كان يحبها حقاً ، بل كان يهيم بها حباً ؛ ولكن ذلك الهيام كان أقوى من أن يحمله على الرغبة فى وصالها . وقد أنفق هذه الأيام الثمانية فى اضطراب ذهنى لايمكن تصوره ، وكأنها كانت قروناً ثمانية ، ولكنه كان يبنى المزيد منها . ثم جاء اليوم المروع أخيراً ؛ فهرول روسو إليها ، وصرح بالقبول والأذعان ؛ وبر فى الحال بوعده . ويصف لنا روسو ذلك اللقاء المدهش فى تلك العبارات القوية المؤثرة : « لقد توج قلبى كل نذورى دون أن أرغب فى المكافأة . بيد أنى حصلت عليها ، وألفيت نفسى لأول مرة ، بين ذراعى امرأة — وامرأة أعبدها . فهل كنت سعيداً ؟ كلا ! ولقد تذوقت السرور ، ولكن شعوراً قاهراً من الحزن كان يسمم سحره ؛ وكنت أشعر أنى أرتكب عشرة محرم ؛ ولقد بللت صدرها بدموعى مرتين أو ثلاث مرات ، بينما كنت أضمها إلى فى شغف وهيام . أما هى فلم تكن حزينة ولا مضطرمة ، ولكنها كانت ناعمة هادئة . ولم تكن تحدوها الشهوة ، ولم تكن ترجو المتاع ، ولهذا لم تشعر بمتعة ، ولم يؤنبها الضمير قط »

وهنا يفيض روسو فى تحليل عواطف مدام دى ڤرنس وميولها الغرامية ، ويحاول أن يعتذر عن أخطائها وزلاتها ؛ فقد

نشأت نشأة حسنة ، ذات فضيلة واستقامة ، وذوق رفيع ، وخلال بديعة ، ولكنها كانت تصغى إلى العقل والفلسفة دون القلب ؛ وقد عنى معلمها وأول عشاقها ، مسيودى تاقل ، بأن يغرس فى ذهنها جميع المبادىء التى تسهل له إغواءها ؛ فعلمها أن الاخلاص الزوجى سخف ، وأن الاجتماع الجنسى أمر تافه ، وأن الفضيلة والعفة والحشمة أمور ظاهرية فقط . فغزتها هذه المبادىء وطغت عليها حتى أصبحت تعتقد دائماً أنه لا يصفد الانسان بحب امرأة قدر الوصل . وفى تلك الصحف التى يصف لنا فيها روسو ذلك التحول فى علائقه مع مدام دى ڤرنس ، يبلغ روسو ذروة البلاغة والافتنان ، ولعلها أبدع قطعة فى « الاعترافات »

* * *

وهكذا تحولت القصة البنوية الأموية إلى قصة غرامية ، وغدا روسو خليل المرأة التى لبث بضعة أعوام يقدسها كأم رؤوم . واستمرت هذه العلاقة مابقى إلى جانبها ، واستمر الخادم كلود آنيه شريكه فى الوصل مدى حين ، ولكنه لم يلبث أن توفى . ثم انتقلت مدام دى ڤرنس وروسو إلى منزل خلوى فى ضيعة « لاشارميت » ، وهنالك قضى روسو ، فى ذلك المقام المنعزل أياماً سعيدة فى الدرس ، مستأثراً بصحبة « أمه » وحبيبته . ثم اعتلت صحته ، واشتد به الهزال والضعف ، وفكر فى السفر لينتجع العافية ، وأشير عليه أن يسافر إلى مونبلييه حتى يجد من الأطباء من يستطيع معالجته ، ولم تمانع مدام دى ڤرنس فى تنفيذ ذلك العزم ، فسافر إلى مونبلييه ، ووقعت له أثناء رحلته بعض حوادث غرامية بثت فى ذهنه إضطراباً وجوى . وبعد أشهر عاد إلى « أمه » وكانت تلك العاطفة المضطرمة التى لبثت مدى أعوام تدفعه إلى جانب مدام دى ڤرنس قد خبت نوعاً ، واستحالت إلى نوع من الصداقة الهادئة ، والظاهر أيضاً أن مدام دى ڤرنس كانت تبحث عن صداقة جديدة وغذاء جديد لعواطفها الهائمة ، فلما عاد روسو ألفى إلى جانبها فى المنزل رجلاً آخر يدعى فنتزنريد ، ولم يلبث روسو أن أدرك من تصرفاته ولهجته أنه غدا صاحباً لمدام دى ڤرنس ، وأنه قد حل مكانه ، فحزن روسو لذلك ولم يطق البقاء حيثما هدمت سعادته ، فسافر إلى ليون ، ولم تبد « أمه » كبير أسف لسفره . وبعد أن أقام بها حيناً عاد إلى مدام دى ڤرنس كرة أخرى ، وأقام بالمنزل حيناً فى عزلة عنها لا يكاد يراها إلا وقت الطعام ، وكانت آخر زياراته لها . وكان يومئذ قد أشرف على الثلاثين من عمره ، ونضجت دراساته ومواهبه وآنس فى نفسه طموحاً إلى غزو ميدان الحياة الواسع ، فاتجه ببصره إلى باريس ، فودع « أمه » الوداع الأخير ، وسافر إليها تحدوه مختلف العواطف والآمال .

وكان ذلك ختام قصة روسو ومدام دى ڤرنس ، فلم يرها بعد ذلك ولم يحاول رؤيتها ، وألقى به القدر فى باريس الى غمار حياة جديدة عاصفة ، ولكنه لم ينس ذكرى المحسنة اليه قط ، ولما توفيت بعد ذلك بنحو عشرين عاماً — سنة ١٧٦٤ — اشتد حزنه لفقدها ، وهو يعرب لنا عن ذلك الحزن فى نفثة مؤثرة فى « الاعترافات » .

محمد عبد الله عنان
المحامى

ماذا يعنى ؟

سيدى الأستاذ البليغ صاحب الرسالة

انى قرأت فى رسالتكم الواحدة والستين كلمة ندّت من الأستاذ كرم ملحم كرم ، وهو يتحدث عن « أدب اليوم » صغيرة فى ذاتها ، ولكن فيها طبيعة كطبيعة (الديناميت) لا يمس شيئاً إلا جعله يباباً ، فأكبرتها ، وأعددت فصلاً طويلا فى الرد عليها ، ثم بدا لى فقلت : لعل الأستاذ كرم ، لا يعنى هذا الذى يفهم من كلمته ، ولعله إذا نبه إليها نظر فيها ثم رجع عنها ، فكفى الله المؤمنين القتال ، وعهدنا بالأستاذ أنه ذكى متأن ، وكاتب مفكر ، فطويت فصلى وبعثت بهذه الكلمة إليكم راجياً منكم أن تنشروها وتسألوه الجواب عنها :

* * *

ماذا يعنى الأستاذ كرم بقوله ، وهو يتحدث عن روايات ڤولتير وروسو ولامارتين وهوغو : « والدين نفسه يقوم على الروايات ، فماهو كتاب التوراة ، وماهو الانجيل ، وماهو القرآن ؟ أليس للرواية من هذه الكتب أكبر نصيب ؟ » اه .

هل يعنى دين التوراة والانجيل فقط ، فلا ننازعه ولا يكون لنا أن ننازعه وهو صاحب الدار وأدرى بما فيها ، أم يعنى دين القرآن ؟

وهل يعنى أن القرآن رواية كروايات روسو ولامارتين ؟ وان مافيه من عبرة التاريخ الصحيح ، هو ملهاة الرواية الباطلة ؟

* * *

هذا ما أرجو أن تتفضلوا بسؤال الأستاذ عنه ، وأن يتفضل بايضاحه .

على الطنطاوى
عضو « جمعية الهداية الاسلامية » بدمشق

٢ ـ الشــخصية

للأستاذ محمد عطية الابراشي

المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

العناصر الرئيسية التي تكون منها الشخصية القوية :

إن العناصر الجوهرية التى تكون منها الشخصية القوية كثيرة منها :

(١) الجاذبية : وهى قوة طبيعية إن وجدت فى الشخص استطاع أن يجتذب قلوب غيره ممن يتصلون به بدون أن يتكلف أو يتصنع : وهذا العنصر يعد من أقوى العناصر التى تتكون منها الشخصية إن لم نقل أقواها ، ولكن بماذا يجتذب الانسان غيره من الناس ؟ والجواب أنه يستطيع أن يجتذبهم ويسيطر عليهم بأدبه وعلمه ، وضبط نفسه ، وسداد رأيه ، وسرعة خاطره ، وحسن حديثه ، وكرم خلقه ، ومراعاة شعورهم ومشاركتهم فى وجدانهم . وهذه الصفات بعضها وراثى ، وبعضها يمكن أن يكتسب بالتربية والتعلم ، فى البيت والمدرسة والملعب والمجتمع ،

(٢) النشاط العقلى أو الذكاء : العنصر الثانى من العناصر المكونة للشخصية القوية هو النشاط العقلى أو الذكاء ، وبعبارة أخرى حضور الذهن . وسرعة الخاطر ، وصفاء القريحة . فقد يكون الرجل مثقفاً ، واضح التفكير ، غزير المادة ، واسع الاطلاع ، ولكنه قد لا يكون متقد العقل ، وضاء الفكر ، حاضر البديهة . فلا يستطيع أن يدرك ما يرمى اليه محدثه ، ولا أن يشاركه فى رأيه ؛ وقد تكون المرأة وسيمة الوجه ، حسنة المنظر ، جميلة الملبس ، ولكنها قد تكون فاقدة ذلك النشاط الفكرى والاتقاد العقلى ، فتعجز عن التأثير فى غيرها أو اجتذابه والسيطرة عليه . فهى كصورة جميلة المنظر ، ولكنها فاقدة الروح الفنية ، تلك الروح التى تؤثر فى الصورة فتعطيها قوة وتأثيراً وحياة معنوية .

فللنشاط العقلى تأثير حسن فى شخصية الانسان ، وفى ارتفاع منزلته بين إخوانه وذويه ، وللغباوة وقلة الفطنة والكسل العقلى أثر سيء فى خمول الشخص وتأخره ، وعجزه وارتكابه الجرائم أحياناً ؛ ولا عجب إذا قلنا إن معظم المجرمين من الأغبياء وضعاف العقول ، وتبدو شخصية الأذكياء فى أعمالهم وأقوالهم كما تبدو فى منطقهم وتفكيرهم المنظم ، وآرائهم المرتبة ، وحججهم القوية ، وقدرتهم على التخلص بسهولة من المشكلات التى تعترضهم بما أوتوا من نشاط عقل وحدة ذهن وصدق حس .

ومن كان لذكائهم أثر فى نجاحهم فى حياتهم « ابراهام لنكولن » ، أحد رؤساء الولايات المتحدة الذين تدين لهم تلك الولايات اليوم بما فيها من تقدم ورقى وإصلاح . ولد فى ١٢ من فبراير سنة ١٨٠٩ ، وكان أبوه نجاراً ، نجاراً عادياً . توفيت والدته ولما يبلغ من العمر عشر سنين ، تعلم مبادىء القراءة والكتابة وهو طفل ، وكانت أمه قبل وفاتها تعنى به العناية كلها ، اختارت له من الكتب الكتاب المقدس وكتاباً عن حياة «جورج واشنطون» قرأها وأعاد قراءتهما مراراً حتى كاد يحفظهما . وكان فى بعض الأحيان يسير أميالاً ليستعير كتاباً يقرؤه . كان فى حياته الأولى عاملاً ، ثم ثقف نفسه بالقراءة فى أوقات الفراغ ، وكان فى الليل يوقد قطعاً من الخشب ، يتدفأ بنارها ويقرأ على نورها ، ولولا ضيق المقام ، والخوف من الخروج عن الموضوع لكتبنا عنه الكثير فارجع إلى تاريخ حياته إن شئت ، وكل ما نريد أن نذكره هو أنه درس القانون أخيراً ، ثم كان محامياً مدرهاً يشار إليه بالبنان ، حاضر الذهن متقد الفكر ، قوى الشخصية ، ثم كان عضواً بمجلس النواب ، فسياسياً ، فرئيساً للولايات المتحدة بأمريكا . فضلته زوجته — وكان فقيراً — على منافس آخر من الأغنياء ، وقد اختارته زوجاً لذكائه وإخلاصه وشخصيته . تنبأت أنه سيكون عظيما ، وقد كان مثلاً للعظمة ؛ ولئن قام واشنطون بتحرير الولايات المتحدة ، فقد قضى لنكولن على ما كان فيها من الاضطراب ، وقام بكثير من الاصلاحات ، وقد ترك لنكولن اسماً خالداً محبوباً لا من الأمريكيين فحسب ، بل من أبناء الانسانية فى جميع الشعوب ، فقد كان يعمل للإنسانية ويفكر كثيراً فى الانسانية وينسب اليه كثير من الحكايات التى تقرب من الخيالات والروايات .

ومن كان لحدة ذهنهم وشخصيتهم أثر كبير فى نجاحهم أيضاً

« اللورد ماكولى » الاسكتلندى ، فقد كان كاتباً وشاعراً ، وكان مؤرخاً وقانونياً ، وكان خطيباً وسياسياً ، ولد فى ٢٥ من أكتوبر سنة ١٨٠٠ م وتوفى فى ٢٨ من ديسمبر سنة ١٨٥٩ م . أظهر حباً للقراءة وتعطشاً للعلم منذ نعومة أظفاره ، توسم فيه أبوه كثيراً من علامات الذكاء والمقدرة العقلية منذ طفولته ؛ فقد قلد « السير وولتر سكوت » فى كتابته وعمره لم يزد على سبع سنين ، فكتب ثلاث قصائد ، ومختصراً تاريخياً عاماً ، وهو طفل . كان قوى الذاكرة ، محباً للعمل مولعاً بالأدب وبخاصة الروايات . وكثيراً مالامه أبوه على قراءتها ، التحق فى أكتوبر سنة ١٨١٨ بجامعة « كمبردج » . وحصل على أربع جوائز منها . وكنا نود أن نكتب عنه كثيراً لولا الخوف من التطويل . وكل مايمكننا أن نقوله هو أنه اشتغل بالقضاء ، ثم اتخذ الأدب مهنة ، ثم انتسب إلى أحد الأحزاب السياسية ، ونجح فى حياته النيابية نجاحاً باهراً لنشاطه العقلى ، وتأثيره الخطابى ، وإخلاصه فى قوله . وكان ينضم لآرائه كثيرون حتى المعارضون لحزبه . وله خطبة هى آيات بينات يدافع فيها عن تعميم التعليم المجانى ، تدل على غيرته ، وحضور بديهته . ولم يفخر الشعبان : الانجليزى والاسكتلندى إلى اليوم بأحد من رجال السياسة والأدب فخرها بما كولى : ومن كتابته تكاد تلمس قوة حجته ، وروح خطابته ، ووضوح لغته ، وصفاء ذهنه ، وسلامة ذوقه فى كتابته ، وجمال تعبيره ، وحسن أسلوبه ، ووفاءه لبلاده وأقاربه وأصدقائه ، تكاد تلمس نقده المر البرىء الذى ينبىء عن الاخلاص والايمان بما يقول .

وممن كان يشهد لهم بالذكاء وحضور البديهة كثير من رجال العرب ونسائهم نذكر لك منهم : معن بن زائدة ؛ فقد دخل على أبى جعفر المنصور ، فقارب خطوه ، فقال المنصور : « لقد كبرت سنك ؛ قال فى طاعتك . قال وإنك لجلد ؛ قال على أعدائك . قال : وأرى فيك بقية ؛ قال : هى لك . » فانظر إلى أجوبة معن تجد أنها تدل على سرعة الخاطر وحسن الجواب .

فالنشاط العقلى يساعد على النجاح فى الحياة ، وينقذ الانسان من أدق المراكز ، ويحفظ شخصيته فى أشد المواقف ، ويسهل الصعب ، ويقرب البعيد . وله أثر كبير فى حسن الخلق والسلوك . وبالاحصاء وجد أن أكرم حكام أوربة خلقا فى القرون الثلاثة الأخيرة الماضية كانوا على قسط كبير من الذكاء .

(٣) المشاركة الوجدانية :

العنصر الثالث من العناصر التى تكون منها الشخصية يدعى المشاركة الوجدانية ؛ فاذا لم نشعر بشعور الناس ونشاركهم فى مسراتهم وأحزانهم ، ونتأثر بآرائهم وأفكارهم ، فهذا دليل على أننا فى حاجة إلى أن نضع أنفسنا موضعهم ، مهما كانت علاقتهم على شرط أن يكون لدينا استعداد للفهم والتفكير والشعور ، مهما كانت مراكزنا بالنسبة إليهم ، من غير نظر إلى رئيس أو مرءوس ، غنى أو فقير ، عظيم أو حقير ، رفيع أو وضيع ، وألا تكون مناصبنا العالية حجر عثرة فى سبيل فهمنا لغيرنا ، وتقدير ظروفه المحيطة به ؛ بل تكون معينا على أن نشاركه فى حالاته ، فنسر لسروره ، ونتألم لآلامه ، وبذلك نمتلك قلبه .

أما صاحب المزاج البارد الذى يتمثل فيه الجود والقسوة والغلظة فلا يتأثر لما ينتاب غيره من نكبات ، ولا يحب أن يتفاهم مع أحد ؛ فهو ينفر من الناس ، والناس ينفرون منه . وهو يؤثر فى غيره بالايذاء ، كما يؤثر الهواء البارد فى النبات الغض الشديد الاحساس ، فيتجمد قبل أن ينمو أو يترعرع .

ومن أكبر عيوب نابليون التى كان يتخلق بها شدة قسوته على النوع الأنسانى ، وعدم مشاركته له فى شعوره ، ومن ثم كانت شخصيته غير كاملة . وإننا فى الوقت الذى نطالب فيه بالعدالة نطالب أيضاً بالرحمة .

ومن الحكمة إذا كنت رئيساً أن تصل بالمشاركة الوجدانية إلى تنفيذ جميع رغباتك من غير التجاء لاظهار سلطتك ، وأن تفوز بطاعة مرءوسيك من غير احتماء بالقانون . ومن المهارة أن تبين لمرءوسيك أخطاءهم ، ونقط ضعفهم ، وتسيرهم كيف تشاء ، بدون أن تحط من كرامتهم ، وبدون أن تظهر لهم أنك أعلى أو أرقى منهم ، ومن غير اضطرار إلى اتخاذ شدة أو عنف . إذا أمكنك الوصول إلى كل هذا كانت شخصيتك قوية ، وكان تأثيرك كبيراً .

وإن قوة التأثير لاتستدعى قسوة أو غلظة ، ولكنها تستدعى أن تشارك الناس فى شعورهم ووجدانهم ، وتتألم لما يدهمهم من حوادث الدهر ، وتواسيهم فيما يلم بهم من نوائبه ، وتنظر الى حسناتهم قبل سيئاتهم ، وفى صوابهم قبل خطئهم ، وتقدر

حسناتهم إذا أحسنوا ، وتفكر فى البواعث التى اضطرتهم الى الخطأ إذا أخطأوا ، وتعدل فى أحكامك اذا حكمت ، لاتنزع الى جانب الظلم ، ولا تميل الى ناحية التهاون ، وبهذه الوسيلة تكون قويا ، ليناً فى غير ضعف ، متواضعاً فى غير ذلة ، موفقاً فى عملك محبوباً عند غيرك .

أما هؤلاء الذين يلجأون الى الشدة والقسوة دائماً فهم ضعفاء ، يشعرون بالضعف فيلجأون الى الغلظة ، ظانين أنهم بتلك الطريقة يسترون ذلك الضعف ، ويكملون ذلك النقص . مثلهم مثل الكلاب ، تنبح فى الطرق لافى ضوء النهار ، بل فى ظلام الليل ، كى تبحث عن فريسة تفترسها ، أو خيانة تخونها ، أو طعام تسرقه . هم كالكلاب تسرهم عيوب غيرهم ، ويفرحون لهفوات سواهم . وأمثال هؤلاء لاشخصية لهم ، فأشخاصهم مكروهة ، وأسماؤهم منبوذة ، وأفعالهم مذمومة مشئومة .

فالمشاركة الوجدانية من أهم عناصر الشخصية تجعل القلب متقداً يشعر بشعور غيره ، ويقيس نفسه بمقياس سواه من الناس . يقول (السير وولتر سكوت) الكاتب الاسكتلندى الكبير : « إن المشاركة الوجدانية هى الحلقة الفضية أو الرباط الحريرى الذى يصل القلب بالقلب ، ويربط العقل بالعقل ، والجسم والروح » فاذا كانت الشخصية هى القوة التى بها يجتذب الغير فالمشاركة الوجدانية من أهم الأشياء التى بها نتصل بقلوب غيرنا وأرواحهم .

واذا قدرنا غيرنا ، وفكرنا فيه ، وسررنا لسروره ، وتألمنا لألمه ، فاننا ننتظر منه أن يقابل المثل بالمثل ، فيقدرنا ويفكر فينا ، ويشاركنا فى سعادتنا وشقائنا بوجدانه وقلبه ، أما إذا لم نقدر أحداً ، ولم نفكر فى أحد ، فاننا لا نترقب أن يقدرنا أو يفكر فينا أحد .

ومن المشاركة الوجدانية أن يخلص الأستاذ فى نصح طلبته وإرشادهم ، والتفكير فى عملهم وظروفهم ومستقبلهم ، فيقابل الطلبة ذلك بالوفاء والطاعة والتقدير . فالشخصية تستدعى أن نتأثر للغير ، ويتأثر الغير لنا ، ونشعر بشعورهم ، ويشعروا بشعورنا . ولا أثر للتربية والتعليم إذا لم يصحبا بمحبة غيرنا ، والتفكير فيهم بقلوبنا ، فالمشاركة الوجدانية يجب أن تتحقق فى القادة ، قادة الفكر وقادة العمل ، حتى تكون لهم شخصية جذابة قوية . غير أنه ينبغى ألا يتدخل الوجدان والعاطفة فى أقوالنا وأفعالنا وحركاتنا وسكناتنا تدخلاً كبيراً ، حتى نستطيع أن نزن الشىء بميزان العدالة لا بميزان العاطفة . ويجب ألا ننظر الى الأمور من ناحية واحدة وهى الناحية الوجدانية ، لئلا يختل التوازن ، ويصبح العقل عبداً خاضعاً للتاثيرات الوجدانية العاطفية التى تعمينا عن حقائق الأشياء وعلاقاتها بغيرها .

ونظراً لطول الموضوع وتشعبه أرجىء البقية إلى بعض الأعداد التالية من الرسالة .

محمد عطية الابراشى

الصقور البحرية
فى البحر الأحمر

للدكتور كرسلاند
مدير محطة الأحياء البحرية بالغردقة

تقل الطيور البحرية فى شمال البحر الأحمر حيث محطة الأحياء البحرية التابعة للجامعة المصرية . وأكثرها الصقر البحرى « Pandion haliaëtus » وبدهى أن تندر الطيور البرية فى أرض مجدبة لم تجُدها الأمطار منذ اثنى عشر عاماً . أما الغربان فكثيرة الانتشار وتعتمد فى غذائها على جماعات الانسان ، ولكنى لم أعثر للآن على النسر البحرى المصرى الذى كان يوجد بكثرة عند المحطة التى كنت أديرها على شاطىء السودان .

أما فى فصلى الربيع والخريف فيمر بالمحطة عدد كبير من الطيور من كل نوع ، كنوعين من البط وبعضها كالخطاف وأبى فصاده ينساب طوال الفصل . أما الصفير (العصفور) فيمر فرادى .

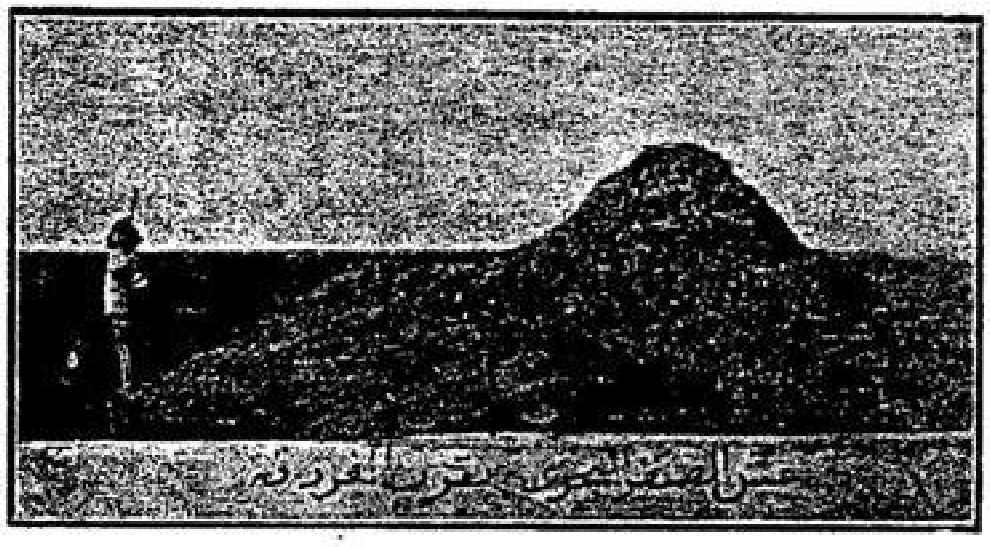
وصقر البحر يختلف فى نوع فريسته وطرق صيده عن الطيور البحرية الأخرى . إذ لم يتأقلم تماماً للحياة البحرية ، فبرغم تشوك أصابعه واندثار الريش الطويل من أرجله ما زال يشبه الطيور الأخرى من فصيلته . ولا يمكنه أن ينقض على جماعات الأسماك التى

تعوم بسرعة قريباً من سطح الماء كما تفعل النورزه «Sea gull» والخطاف البحرى «Tern» بل يفترس عادة الأسماك البطيئة كأبى صندوق «Box fish, Ostracion» والحجم «Balistes» والدرمة «Tetraodon» والمشط «Holacanthus» وهذه الأخيرة سمكة زرقاء اللون تزينها بقعة صفراء فاقعة ، وتكثر حول الشعاب المرجانية . وكثيراً ما نرى عظام هذه الأسماك وجلودها بكميات كبيرة حول أعشاش الصقر . وإنه وإن بدت هذه الأسماك محصنة من الأسماك المفترسة بكيفية لانعرفها إلا أن ذلك لايقيها شرين : حربة الصياد ، ومخالب الصقر .

وقد التجأ الصيادون هنا إلى استعمال الحراب لانتشار الشعاب المرجانية مما أدى إلى تحديد صلاحية الشباك للصيد . وقد لايجدى الصيد بالشص كثيراً إذ تتحصن الأسماك المصيدة بالشعاب فيفقد السمك والشص معاً ، لذلك انتشر استعمال الحراب . وتتكون الحربة من قضيب من الحديد يبلغ سمكه سنتيمتراً أو سنتيمترين ، ويصل طوله إلى ثلاثة أمتار ، أحد طرفيه مدبب وبالآخر ثقب صغير يثبت به الخيط . ويشتغل الصيادون مثنى فى كل هورى (قارب منحوت من الأشجار) ينظر أحدهما فى منظار الماء بينما يجدف الآخر ببطء ، ويبحثان عن صدف اللؤلؤ ، ولكن إذا ماتراءت لهما سمكة أمسك أحدهما الحربة من منتصفها وصوبها ثم قذف بها بمهارة لاتفلت منها الأسماك الصغيرة . وأكثر مايصاد عادة بهذه الطريقة الأسماك البطيئة الحركة . وقد تقتنص الأسماك السريعة كأنواع البياض «Caranx» وأميز هذا الجنس مايسميه الأوربيون خطأ «Dolphin» فانه يتلون بألوان براقة جميلة حينما يحتضر خارج الماء .

وقد صادفت مرة جماعة من صيادى اللؤلؤ وقد أمسكوا درمة (جنس من السمك) فسألتهم « كيف أمسكتم هذه السمكة وليس معكم حربة واحدة ؟ » فأجاب أحدهم « أمسكتها بيدى » . والدرمة سمكة معروفة بأنها سامة ، ولكنها تؤكل كثيراً بالبحر الأحمر ، ويقال إن لحمها جيد وإن كان قليلاً .

وعلى شاطىء البحر الأحمر لاتوجد جروف ولا أشجار يبنى فى وقايتها الصقر عشه . فيلجأ إلى أفرع نباتات الأرض الملحة على الشاطىء المنبسط مثل الشمرة البحرية «Samphire» والحزيس «Zygophyllum album» والساليكورنيا «Salicornia» وغيرها من النباتات التى تنمو على الأرض المنخفضة بجانب البحر بل وعلى رمل الشاطىء نفسه ، وكذلك على الأعشاب البحرية وجلد الأسماك وعظامها والأجسام الطافية على سطح الماء من أى نوع . والصقر لايغير عشه بل يضيف إليه كل عام حتى يصبح ربوة عالية — وعلى مقربة من المحطة عش يربو ارتفاعه على المترين . ورأيت آخر على شاطىء السودان كان يسكنه صقر مدة خمسة عشر عاماً ولست أدرى كم أقام به الصقر قبل ذهابى إلى السودان .



عش الصقر البحرى على مقربة من الغردقة

وبيض هذا الصقر كبير الحجم وعليه نقط سمراء داكنة ، أما الصغار فسمر الألوان ، وإذا أزعجت خرجت من عشها وجثمت بين الأعشاب المجاورة .

ومما يساعد على وقاية هذه الطيور عزلتها فى الصحراء ورغبة (البشاريين) عن أكل الطيور وبيضها . ولكن انتشار السيارات فى الصحراء قد سلبها عزلتها . وكم نشفق الآن على بعض هذه الطيور التى ما زالت تأوى عشاً لايبعد إلا قليلاً من الأمتار عن الطريق الموصل بين آبار البترول ومحطة الأحياء البحرية ! أما الجزر فما زالت ولن تزال حصناً منيعاً لها .

وقد أقمت عدة علامات لتحدد الشعب المرجانية ، وسرعان ما انتفع بها الصقر للاستراحة والتهام فريسته ، ولا شك أن هذه العلامات توسع نطاق صيدها . إذ أن الصقر طير برى ، ولا بد له من الرجوع إلى الشاطىء لأكل فريسته ، ولكنه الآن لايحتاج إلى ذلك كثيراً بفضل انتشار العلامات على بضعة أميال من الشاطىء . وكثيراً ما نرى الصقر ممسكاً بفريسته بين مخالبه باحثاً عن مكان يلتهمها فيه ؛ وهو يمسك فريسته موازية لجسمه ، بخلاف الطيور الأخرى التى تمسكها فى اتجاه مستعرض .

كرلس كرسلاند

الامتيازات والديك..

للأستاذ محمد محمود جلال

منذ عشر سنوات كنت أعالج « ضرساً » لدى طبيب انجليزي يقيم في مصر من زمان طويل بل لعله ولد بها . والعجيب من أمره أنه خالف سنة قومه فأكثر من معاشرة المصريين وأتقن الكلام بالعربية ، واندمج في مختلف بيئاتهم ، وهو على خفة في روحه وظرف في طبعه حلو النكتة حتى لتحسبه « ابن بلد » .

ففي يوم من أيام العلاج ، وقد أخذ يعد دواءً ، أراد أن يروح عني من شدة الألم ومرارة الانتظار بنادرة مما حفظ فقال : إن أحد الشيوخ مر ذات يوم بشارع ضيق من شوارع القاهرة ، وبينما هو في سيره إذ قفز من أحد المنازل ديك على عمامته فأتلفها وهوى بها ، فاستاء الشيخ وبحث عن صاحب المنزل ثم رفع أمره للقضاء . ولم يشك المدعى يوم الجلسة في صدور حكم لصالحه ، فحقه في التعويض واضح ، زكته اعترافات المدعى عليه في أول إجابته .

بيد أنه ذهل إذ سمع المدعى عليه يدفع بعدم الاختصاص !! والخصمان مصريان والمحكمة مصرية ، وصرخ عجباً !! قال المدعى عليه « كل ذلك حق » ولكن الديك « رومي » فقضت المحكمة بعدم اختصاصها !!!

إحدى الخرافات الفكاهية التي لا يعدو أثرها حين تطلق في مجلس أن تنتزع ضحكة ، ولا نفيد منها إلا نصيباً من الترويح ، لكنها من خير ما يصور الأثر الذي تركه ذلك النظام في بلادنا ، والطابع الذي أقامه في روح الحياة بعد أن نال من مصالحنا وكرامتنا وآدابنا .

فكم تعطلت إجراءات عادلة بدعوى أفاق ، حتى إذا فصل في أمره كان الزمن قد ذهب بالمصلحة والغرض ، وكم من عاث تعب في أمره رجال الأمن وهو كل يوم يظهر بحيلة جديدة ، وكم من حقوق مصرية بحتة أخرجت من دائرتها الطبيعية ودفعت لمجرد شبهة في صالح أجنبي ، إلى محاكم استثنائية .

يعيش بيننا كثيرون يسيئون إلى سمعة دولهم أكبر الإساءة ، فهم يؤجرون للتعرض في التنفيذ ويتخذون ذلك مهنة لهم ، وإني لأذكر واحداً تعرض مرة في تنفيذ حجز على محصول لقاء مبلغ الايجار — وكان المتعرض شخصاً معروفاً للناس تأنف منه الجالية التي ينتسب إليها ولا يملك شيئاً إلا هذه المهنة — ومع ذلك فقد ادعى بأنه اشترى المحصول ، وكان هذا وحده إشكالاً رجع معه المحضر ليتلافى الأمر من طريق الاجراءات — فلما أخذنا المتعرض بشيء من الحزم اعترف وأخرج من جيبه « جنيهاً واحداً » . قبضه أجراً لتعرضه

هذا وغيره كثير الوقوع وقد أصبح حديثاً مردداً . ولكن اليوم تشاء سخرية القدر أن يقع ما هو شر من الخرافة .

قضت أعمالي أن أغيب عن مصيفي ببور سعيد في أوائل أغسطس الماضي ، فلما عدت أخبرت أن ضابطاً مصرياً جاء إلى المنزل بأمر الحكمدار الانجليزي ، وأبلغ الخادم أن « ديكاً » يزعج الجار الأوربي ، فهو يأمر بنفيه إلى « السطوح » أو ذبحه !!

ليس بالمنزل سلم « للسطح » ، ومكان الطيور بالحديقة بناه المالك ولا يد لنا بتغييره ، لأننا نشغل المنزل لموسم الصيف ، وإذن نفذ الأمر ، وذبح « الديك » مأسوفاً عليه من الدجاج مسطراً بدمه صحيفة عن آثار الامتيازات والعبث بالكرامة !! ضابط خلق لمهمات عالية من صيانة أرواح وأموال وأعراض ، يحمله الرئيس الانجليزي رسالة حقيرة في أمر حقير !!

عندما يحس الجار إقلاقاً لراحته يكفي في دفعه عادة كلمة طيبة لجاره ، وتكفيه رسالة من خادم لخادم . هكذا نفعل ، ولكن الاعتزاز بالامتيازات والاحتلال بدل الجوار الحسن تفرقة وتحكما .

ولست أشك في أن المناحة التي أقامتها الدجاج حزناً كانت قوية مؤثرة تضاعفت معها حركة الأقلاق ، مما جعل الجار يندم على شكواه والحكمدار يرفه عنه ، ولعلهما نسيا بهذه الصيحات المزعجة صوت الديك « الفقيد » .

وأمام ما تخيلت ثقة بوفاء هذه الطيور تساءلت : « ألم يتجدد الأمر بذبح البقية المقلقة ؟ » فلما أجبت بالنفي قلت : لعل الآمرين قد أخذا بروعة الوفاء وصعقة الحزن فنسيا الجريمة !! أو لعل في

ذلك إشارة إلى قرب الخلاص ! ! والله سميع مجيب .

على أن فى بيت الجار التالى « دجاجاً » سمعت صوتها وصياحها ولكن الشاكى لا يتحرك !! والحكمدار الانجليزى لا يهتم ! والضباط المصريون لا يُسخرون ! لأن الجار يتمتع بالامتيازات ، وما فى كنفه تابع له ، ولو أن الديك « بلدى »

ولقد هممت أن أكتب الى الحكمدار — واحدة بواحدة — ولكني خشيت أن أكون سبباً فى نكبة تحل بواحد أصله « مصرى » وأنا الذى أفدى الوطن وما ينسب اليه بكل غال .

أنظر إلى ماحدث على تفاهته — انه سيصبح حديثاً يتناقله خادم طارىء عن خادم مقيم ! وينشره الأول والثانى — ثم يصبح موضوعاً يتنادر به أكثر من جماعة فى مقهى أو شارع أو مجلس ، ثم تبني عليه نوادر وخرافات أصلها حقيق عن أمر صدر من رئيس كبير وبلغه مرءوس كبير ، ثم قل بعد ذلك ماشئت فى التسلسل الطبيعى وأثره فى البيئة وما ينشأ عنه من إكبار النفوس البسيطة للنفوذ الأجنبى — وما يتبع ذلك من صبغها بنوع من الخنوع أو نوع من الوجل .

ولكن الله سبحانه وتعالى يتدارك الشعب بأبنائه النابهين وما أظن نافذاً باذنه إلا مشيئة البلاد .

ولقد راجعت نفسى وواجبى فكتبت الى الحكمدار منبهاً الى كرامة الضباط وغرابة الحادث ، ودخول البيوت بغير إذن ، وهم العاملون المكلفون بطبيعة وظائفهم بالسهر على الحقوق .

وبعد : أليس فى الخرافة الأولى حق وعظة ؟

محمد محمود جلال
المحامى

مجموعة السنة الأولى للرسالة

الرياضيات فى الشعر

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

يقولون إن عداءً مستحكما موجود بين الرياضيات والأدب بما فيه الشعر ، ولكن الحقيقة تنفى وجود هذا العداء ، والواقع لا يؤيده ، إذ ليس فى أحدهما ما يناقض الآخر ، وكثيراً ما استعان العلماء بأحدهما على الثانى . واذا كان هناك عداء موضوع أو خصام موهوم ، فهو فى الحقيقة والواقع بين الرياضيين من جهة ، والأدباء من جهة أخرى ؛ وما علمت لهذا سبباً ، وما قدرت أن أجد الدافع لذلك . فالأديب أو الشاعر يغيظه أن تذكر أمامه كلمة رياضيات ، ويزيد فى حنقه أن تجرى أمامه بحوث فى الأرقام والمعادلات والأشكال والخطوط ، يتملص من جلسات الرياضيين ويشمئز حين الاجتماع بهم . وليس هذا خاصاً بالأدباء ، فكذلك الذين يعنون بالعلوم الرياضية هم أشد حنقاً على الأدباء من الأدباء عليهم ، لا يتركون فرصة دون ذكر النوادر عن الأدباء والشعراء ، وقد يتمادى بعضهم فيستهزىء بلغة العواطف والنسيم والطلول وهند وليلى ومجنونها . وتراهم (أو على الأقل يتظاهرون) بأنهم لا يفهمون معنى لأبيات يتخللها وصف بديع أو مجاز بليغ . هذا صراع موجود لا يمكننا إنكاره . وقلّ أن تجد أديباً أو شاعراً يعنى بالأرقام ، كما أنه قلّ أن تجد رياضياً يعنى بالأدب أو الشعر . وأصبح الجمع بين الرياضيات والأدب والشعر فى شخص واحد من الخوارق ، بل من ضروب الشذوذ التى تثير الدهشة والاستغراب . فاذا قيل هذا أديب أو شاعر ، فمعنى ذلك ضمناً أنه يمج الرياضيات ويكره كل شىء يحتوى على الأرقام والمعادلات . واذا قيل هذا رياضى فمعنى ذلك ضمناً أنه يكره الأدب والشعر ، ولا يفهم إلا الملموس المحسوس ، ولا يتكلم إلا بلغة الأرقام . ولكن برغم ذلك فاننا نجد أشخاصاً برعوا وبرزوا فى الناحيتين ، وكان لهم فيهما جولات موفقات ؛ فهناك رياضيون اعتنوا بالأدب ووجدوا فيه تسلية ، وسحرهم الشعر وفنونه ، ووجدوا فيه ملهاة ، ولم تمنعهم الرياضيات من النظم أو من الغوص على كنوز الأدب ،

بل قد بلغ فى بعضهم حب الجهتين أن استعمل الشعر فى التعبير عن القوانين والمعادلات الرياضية . واذا اطلعت على كتاب (مخطوط) للبيرونى : (التفهيم لأوائل صناعة التنجيم) رأيت أدباً عالياً ، ودقة فى التعابير بالغة الدرجة العليا من الاجادة . وهناك شعراء عكفوا على دراسة الرياضيات والفلك ، وشعروا بلذة فى دراستهما ، وبلغوا فيهما ذروة عالية يحسدهم عليها الكثيرون .

لا أعرف شاعراً أو شاعرة قبل زرقاء اليمامة نظم شعراً وضمنه مسألة حسابية . ومما لاشك فيه أنها لم تكن تقصد وضع معضلة رياضية فى قالب شعرى ، إنما جلّ مافى الأمر أنها كانت حادة البصر ، وقد رأت سرباً من الطيور ، فرغبت فى وضع عدده شعراً . وأرجح أن إيجاد العدد يحتاج الى عملية حسابية يعجز عنها الكثيرون من فحول الشعراء وكبار الأدباء ، أما الأبيات فهى:

ليت الحمام ليه ونصفه قديه
الى حمامتيه صار الحمام ميه

والمعنى المقصود من هذين البيتين أنه اذا أضيف الى هذا السرب نصفه وحمامة واحدة لكان حاصل الجمع مئة ، فاذا أخذت الحمامة كان الباق تسعاً وتسعين ، وهذا العدد يعدل عدد الحمام ونصفه ، أى أن عدد الحمام ست وستون . وقد علق النابغة الذبيانى على هذه الأبيات ، ويظهر منها أنه يعرف عدد الطيور مع أنه لم يذكر ذلك صراحة . قال النابغة :

أحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت الى حمام شراع وارد الثمد
يحفه جانباً نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت : ألاليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما زعمت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة فى ذلك العدد

واذا اطلعت على ديوان أبى نواس وقد غمره الحب والخمر واستوليا عليه ودخلا فى كل أعماله الصغيرة والكبيرة ، أقول اذا اطلعت على ديوانه العجيب الغريب وجدت فيه بعض أبيات أشار فيها الى تقسيم قلبه بين جنان حبيبته والساق والعشاق تقسيماً حسابياً غريباً فى بابه . وإليك تقسيمات أبى نواس :

جنانٌ حصَّلت قلبى فما إن فيه من باق
لها الثلثان من قلبى وثلثا ثلثه الباق
وثلثا ثلث مابقى وثلث الثلث للساق
فتبقى أسهم ست تجزأ بين عشاق

ولقد وجد فى العرب من استطاع أن يضع كثيراً من الطرق والقوانين التى تتعلق بالأرقام والأعمال الأربعة شعراً . واعتنى بعض علماء الرياضة بالشعر والأدب ، ورغب غير واحد منهم فى وضع الجبر شعراً ، فابن الياسمين وضع أرجوزة فى علم الجبر وقد شرحها كثيرون . وفى هذه الأرجوزة نجد خلاصة كثير من القوانين والمعادلات الجبرية التى يجدها القارىء فى كتب الجبر الحديثة . وتدل الأرجوزة على تضلع الناظم فى الجبر وبُعد غوره فيه ، على أن ثروته الأدبية لايستهان بها ، وتدل أيضاً على أن لديه شاعرية قوية قد لانجدها فى كثيرين من شعراء زمانه ، وانى أعتقد أنه لولا إحاطته بالجبر والشعر إحاطة كلية لما استطاع أن يضعها فى قالب سلس جذاب . ولدينا نسختان من أرجوزة ابن الياسمين ، أخذنا الأولى عن مخطوطة قديمة موجودة فى المكتبة الخالدية فى القدس وهى (شرح الياسمينية للماردينى) ، والثانية أرسلها الينا الصديق الأديب عبد الله كنون من شباب طنجة بالمغرب ومن نجومها اللامعة فى سماء الشعر والتاريخ .

ولنرجع إلى الشعر الموجود فى أرجوزة ابن الياسمين فنجد أنه يبدأ بذكر خواص القواعد الأربع الأصلية وشرح طرق حلها للأعداد الصحيحة والكسرية ، وبعد ذلك ينتقل إلى علم الجبر فيقول :

على ثلاثة يدور علم الجبر المال والأعداد ثم الجذر

ثم يفسر كل واحد من هذه الأشياء الثلاثة بقوله :

فالمال كل عدد مربع والجذر واحدُ تلك الأضلع
والعدد المطلق مالم ينسب للمال أو للجذر فافهم تصب

من هنا يفهم أن المال هو كل عدد مربع ، والجذر أحد ضلعيه ، والعدد المطلق هو الذى لم ينسب إلى جذر ولا إلى مال ولا إلى غيرهما ، فالاثنان (مثلاً) عدد

والجذر والشىء بمعنى واحد كالقول فى لفظ أب ووالد

أى أن الجذر والشىء مترادفان ، وبعبارة أخرى يمكن أن يقال

إن الجذر هو العدد المجهول ويعبر عنه بالحرف (س) فى علم الجبر وعلى ذلك يكون المال ($\text{س}^{٢}$) . ثم يبحث ابن الياسمين فى المعادلات وأقسامها وأنواعها وطرق حلها ويأتى بعد ذلك على شرح طريقة إكمال المربع لحل المعادلة ذات الدرجة الثانية ، وإذا تتبعت خطواتها بالدقة تجدها هى بنفسها الخطوات المتبعة فى الكتب الجبرية الحديثة .

فربع النصف من الأشياء … واحمل على الأعـــداد باعتناء
وخذ من الذى تناهى جذره … ثم انقص التنصيف تفهم سره
فما بقى فذاك جـــذر المال … وهذه رابعـــة الأحوال (١)

ولم يستطع العرب أن يدركوا القيم السالبة ، أى أنهم لم يعتبروا من جذور المعادلة إلا الموجب . ثم يشرح طريقة استخراج المجهول فى المعادلة التى يكون فيها معامل ($\text{س}^{٢}$) غير الواحد ، وهى نفس الطريقة التى تجدها فى كتب الجبر للمدارس الثانوية . وأعطى طرقاً لكيفية حل بعض المعادلات التى تكون فى أوضاع مخصوصة مثاله :

فاجمع إلى أعـــدادك التربيعا … واستخرجن جـذرها جميعا
واحمل على التنصيف ما أخذتا … فذلك الجذر الذى أردتا (٢)

ولم يقف ابن الياسمين عند هذا الحد ، بل نجده يشرح بعض النظريات التى تتعلق بالقوى والأسس وطرق ضربها فى بعضها وقسمتها على بعضها . ولم ينس أيضاً أن يذكر معنى كلمتى (جبر) و (مقابلة) فقال :

وكل ما استثنيت فى المسائل … صيره إيجاباً مع المعادل
وبعد ما يجـــبر فليقابل … بطرح ما نظـــيره يماثل

ولولا الخوف من الملل الذى قد يتسرب إلى القراء ولا سيما الأدباء منهم لأتينا على شرح هذين البيتين تفصيلاً . ولقد سبق أن شرحت معنى الكلمتين (جبر) و (مقابلة) فى مقالى فى المقتطف.

وتنتهى الأرجوزة بالصلاة والسلام على النبى .

ويوجد شعر كثير حوى مسائل حسابية وهندسية ومعضلات فلكية من الصعب فهمها وقد يكون حلها أيضاً .

وفوق ذلك أخذ الشعراء بعض الاصطلاحات والأسماء والآلات الفلكية والرياضية واستعملوها فى شعرهم فقد كتب أبو اسحاق الصابى فى يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه إلى عضد الدولة ما يلى :

أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا … فى مهرجان جديد أنت مبليه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى … علوّ قدرك عن شىء يدانيه
لم يرض بالأرض مهداة إليك فقد … أهدى لك الفلك العالى بما فيه

وكتب أيضاً مع زيج أهداه — والزيج هو كتاب يتضمن جداول وحسابات فلكية :—

أهديت محتفلاً زيجاً جداوله … مثل المكاييل يستوفى بها العُمر
فقس به الفلك الدوار واجر كما … يجرى بلا أجل يخشى وينتظر

ومما كتب إليـــه فى يوم نيروز مع رسالة هندسية من استخراجه :

رأيت ذوى الآمال أهدوا لك الذى … تروق العيون الناظرات محاسنه
وحولك خزان يحوزونه وما … له منك إلا لحظ طرف يعاينه
ولكننى أهديت علماً مهذباً … يروق العقول الباحثات بواطنه
وخير هدايانا الذى إن قبلته … فليس سوى تامور قلبك خازنه

وأخذ بعضهم من الأفلاك والكواكب ومن الظواهر الطبيعية والفلكية ميداناً لنظم الشعر ومسرحاً للخيال ، قال أحدهم ، ولا يحضرنى اسمه الآن :

اما ترى الزهرة قد لاحت لنا … تحت هلال لونه يحكى اللهب
ككرة من فضة مجلوة … أو فى عليها صولجان من ذهب

وقال التهامى فى البقع السوداء التى تظهر على سطح القمر :

فبات يجلو لنا من وجهها قمراً … من البراقع لولا كلفة القمر

---

(١) أى إنه إذا كان لديك معادلة من الدرجة الثانية : مثال ذلك : مال وعشرة أجذار (أو أشياء) تعدل ٧٥ أو بالتعبير الجبرى الحديث $\text{س}^{٢} + ١٠\,\text{س} = ٧٥$ فالنصف من الأشياء يعدل $\frac{١٠}{٢} = ٥$ وتربيعه يعدل ٢٥ ، ثم احمل على الأعداد باعتناء .أى أضف الـ (٢٥) إلى الـ (٧٥) فيكون الناتج (١٠٠) ثم خذ جذر المئة وهو عشرة واطرح بعد ذلك منه التنصيف أى اطرح الخمسة من العشرة فيكون الباقى (٥) وهو جذر المال أى مقدار جذر المعادلة . وإذا أردنا أن نتتبع الطرق التى نعرفها والموجودة فى كتب الجبر، يكون الحل على الصورة الآتية $\text{س}^{٢} + ١٠\text{س} = ٧٥$ ، $\text{س}^{٢} + ١٠\text{س} + (\frac{١٠}{٢})^{٢} = ٧٥ + (\frac{١٠}{٢})^{٢}$ $\text{س}^{٢} + ١٠\,\text{س} + ٢٥ = ١٠٠$ اى ان $(\text{س} + ٥)^{٢} = ١٠٠$
$\therefore \text{س} + ٥ = ١٠$ $\therefore \text{س} = ٥$ مهملين بتلك القيم السالبة

(٢) إذا كانت المعادلة فى هذا الوضع : $\text{س}^{٢} = \text{جـ}\,\text{س} + \text{د}$ فاستخراج جذرها يكون :

$$\text{س} = \frac{\text{جـ}}{٢} + \sqrt{(\frac{\text{جـ}}{٢})^{٢} + \text{د}}$$

وقال ابن المعتز فى وصف الهلال :

أنظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وجاء فى سقط الزند للمعرى وصف للسماء ومافيها من اجرام وقد صُوّرت أحسن تصوير فى قالب شعرى جميل :

كأن سهاها فى مطالع أفقه مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
كأن بنى نعش ونعشاً مطافل بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عوّد فآونةً يبدو وآونةً يخفى
كأن قدامى النسر والنسر واقع قصصن فلم تسمُ الخوافى له ضعفا

وجاء أيضاً :

سقتها الذراع الضيغمية جهدها فما أغفلت من بطنها قيد أصبعِ
بها ركز الرمح السماك وقطعت عُرى الفرع فى مبكى الثريا بأدمع
ويستبطأ المريخ وهو كأنه إلى الغور نار القابس المتسرع
وتبتسم الأشراط فجراً كأنها ثلاث حمامات سدكن بموضع
وتعرض ذات العرش باسطةً لها إلى الغرب فى تغويرها يد أقطع

وجمع الشيخ اليازجى أسماء البروج فى ثلاثة أبيات فقال :

من البروج فى السماء الحملُ تنزل فيه الشمس إذ تعتدل
والثور والجوزاء نعم المنزله وسرطان أســـد وسنبله
كذلك الميزان ثم العقرب قوس وجدى دلو حوت يشرب

وقال أبو العباس ابن الخليفة المعتز بالله فى مخاطبة القمر :

ياساق الأنوار من شمس الضحى يامثكلى طيب الكرى ومنغصى
أما ضياء الشمس فيك فناقص وأرى حرارة نارها لم تنقص
لم يظفر التشبيه منك بطائل متسلخ بهقا كلون الأبرص

ولا يمكننا فى هــذه العجالة الاتيان على أكثر ماقاله الشعراء وعلماء الفلك والرياضة فى مبادىء العلوم الرياضية والفلكية فهو أجل من أن يحاط به فى مقالة أو مقالتين آملين العودة إلى البحث فيه بصورة أوسع وأوفى للمرام .

(نابلس) فدرى حافظ طوقان

فصول مدرسية فى الأدب الدرامى

٦ ـ الرواية المسرحية

فى التاريخ والفن

بقلم أحمد حسن الزيات

المأساة فى خلال القرون

لعلك تذكر أننى أشرت عند الكلام عن منشأ الرواية إلى أن أصل المأساة هو تلك الأناشيد التى كان يغنيها القيان (الخورس) إجلالاً لباكوس إله الخمر يوم عيده . وكلمة (تراجيدى) اليونانية لا تزال تحمل دليل هذا الأصل . فمعناها غناء الجدى ، وهى مركبة من كلمتين: (تراجوس tragos) : جدى، و(أودى ôdê) : غناء . وذلك لأن الجدى كان مخصصاً للقربان فى ذلك اليوم ، ولأن القيان كن ينشدن تلك الأناشيد أثناء ذبحه . وقلت إن (إيسخين) وضع الحجر الأول فى بناء المأساة ، ولكن اسخيلوس (٥٢٥ — ٤٥٦ ق م) هو الذى صورها وسواها بخلقه الحوار ؛ ثم أبقى على القيان ، وبث فى المأساة الرعب على الأخص ، وجعل تصريف الأشخاص بيد القدر . وجاء سوفوكليس (٤٩٥ — ٤٠٥ ق م) فقلل من عمل القيان ، وأضعف من شأن القدر ، وعزا جزءاً من العمل إلى أهواء الانسان وحريته ، وأحكم العقدة الروائية . وأشهر مآسيه أنتيجون، وإلكترا ، وأوديب الملك ، وفيلوكتيت. ثم كان أوريبيدس (٤٨٠ — ٤٠٢ ق م) فكاد يلغى القيان ، وأخفى أثر القدر من رواياته ، وجعل الأمر كله لتصارع الأهواء ، وبث فيها الرحمة على الأخص . وأطلق عليه أرسطاليس اسم أمير المأساة . ولكنهم أخذوا عليه الاغراق فى تعقيد العمل ، والالتجاء إلى معونة الآلهة فى الحل ، وحشوه القطعة بالحكم الفلسفية . وأشهر مآسيه ألسست وهيكوب وإيفجينى وأوليس . ثم نضبت قرائح اليونان من المأساة بعد أوريبيدس فلم ينبغ فيها منهم أحد .

أما الرومان فميلهم الغريزى إلى المشاهد الوحشية الدموية

كمصارعة الوحوش والثيران أزهق فيهم روح الفن الروائى ، وشغلهم عن إجادة المأساة . وما نسبوه من المآسى إلى سنيكا (٦١ ق م — ٣٠ ق م) ليس إلا تطبيقات مدرسية صيغت فى أسلوب روائى . ثم درست معالم المأساة ، وانقضى أمرها فى العصور الوسطى ، فلم تعد ثانية إلى الظهور إلا مع النهضة العامة فى القرن السادس عشر . ظهرت فى فرنسا واستمدت موضوعاتها من الأساطير اليونانية واللاتينية ، واقتبست قواعدها من الأدب القديم ، حتى جاء اسكندر هاردى فاستقاها من موارد الاسبان والطليان أيضاً . وظلت المأساة على هذا النحو من التقليد والفوضى حتى أدركها كرنيى زعيم المسرح الفرنسى ، وخالق المأساة الحديثة ، فزاد على غرضيها الأولين وهما الرعب والرحمة ، غرضاً ثالثاً وهو الاعجاب ، وحصر أسباب هذه الأغراض الثلاثة فى قلب الرجل وهواه ، ووصف الناس كما ينبغى أن يكونوا ، وجعل الخلق الغالب على أشخاصه النبل والبطولة ، وضحى بالهوى على مذهب الواجب ، وأضعف أثر الحب فى رواياته ماعدا « السيد » . ثم أعقبه راسين فحرك الرحمة فى النفوس على ضحايا الأهواء ، ولا سيما ضحايا الحب والغيرة ، وأرخى عقدة الرواية إيثاراً لجاذبية التصوير الخلقى على جاذبية التعقيد الروائى ، وجعل للحب المحل الأول فى رواياته ، ووصف الرجل كما هو لا كما ينبغى أن يكون كما فعل كورنيى . ثم يأتى ڤولتير فى حسن الأثر وعظم الفضل ثالثاً لكورنيى وراسين ، ولكنه دونهما فى البراعة والاجادة . فقد أنكر النقاد عليه مزجه الحكاية بالفلسفة ، وقصوره عن تصوير أخلاق أشخاصه ، غير أنهم يذكرون له حسن صنيعه فى تقويته حركة العمل الروائى ، وحرصه على حفظ اللون المحلى فى المسرح

***

ثم جاء القرن التاسع عشر ، وظهر المذهب الابتداعى فهاجم المأساة وطاردها فى المسارح حتى قضى عليها ، واستبدل بها المأساة العصرية أو الدرامة ، ولم يبق من أنصارها المؤلفين فيها والمناضلين عنها إلا تلما Talma المتوفى سنة ١٨٢٦ ، وراشيل المتوفى سنة ١٨٥٨ ، ودلافنى المتوفى سنة ١٨٦٨ مؤلف لويس الحادى عشر وأطفال إدوار . ثم بُنْسار المتوفى سنة ١٨٦٧ مؤلف لُكريس ، وأنبيس دمورانى ، وشرلوت كردى . وقد ظل هذا الكاتب حيناً من الدهر زعيم المعارضة لفكتور هوجو عميد المذهب الابتداعى .

أما أمر المأساة فى غير فرنسا فقد كان ساقط الشأن قليل الجداء ، اللهم إلا فى انجلترا فقد ألف شكسبير جملة من المآسى الخالدة كروميو وجوليت ، وعطيل ، والملك لير ، ومكبث ، وهملت ، ويوليوس قيصر ، وانطوان وكليوبطرة ، وكريولان . وكلها ماعدا الثلاث الأخيرة مقتبسة من التاريخ الحديث

تحليل موجز لأشهر المآسى

نريد بتحليل ما اخترناه من المآسى الرائعة الكشف عن هيكلها العظمى ليتبين القارىء فيها كيف يتوزع العمل فى الفصول وتتدرج الجاذبية فى الحادث ، وتراعى الوحدة فى الموضوع ، وتسير الرواية على حكم ما قرأ من القواعد . وسنختار ما نحلله مما خلد على الدهر وعلق بالقلوب من روائع كورنيى وراسين وڤولتير وشكسبير عسى أن يكون فى اختصارها له حادياً لقراءتها ودراستها

مآسى كورنيى : (السيد Le Cid)

وقعت حوادث هذه المأساة فى أشبيلية أواخر القرن الحادى عشر فى ساحة من ساحات المدينة ، ثم فى دار كُنت جُرماس ، ثم فى قصر الملك . وأهم أشخاصها : الدون دييج أبو رُدْريج ، والدون جوميز كنت جُرماس أبو شيمين ، وردريج حبيب شيمين ، وشيمين خطيبة ردريج ، والدون فردناند الأول ملك قشتاله ، والدون سانش منافس ردريج فى حب شيمين . وموضوعها زواج ردريج من شيمين ، والحيلولة دونه بلطمة الكنت للدون دييج ، وانتقام ردريج لأبيه من والد خطيبته

ففى الفصل الأول : بينما كانت أسرتا الأميرين (دون دييج ودون جوميز على وشك الاتصال بالمصاهرة أسند الملك امارة (الانفانت) إلى الدون دييج ، وكان الدون جوميز يرى نفسه أحق بها وأهلها . فيتمارى الأميران وهما خارجان من مجلس الملك وتتسعر بينهما نار الجدل حتى يلطم الدون جوميز صاحبه لطمة يريد أن يدفع عارها عنه بالسيف فيخونه عزمه ويظهر عليه خصمه . فليجأ إلى ولده ردريج يطلب منه أن ينتقم له . فيتردد ردريج هنيهة ، ثم يقول : هما خطتا خسف لا مَعْدى لى عن واحدة منهما : اماتة

الاهانة إلى الأبد ، وإما الانتقام من أبي الحبيبة . ثم لايلبث أن يغلب واجبه على هواه فيقبل .

الفصل الثاني : يأبى الكنت أن يعتذر عن فعلته للدون دييج على الرغم من إلحاح الملك . ويدخل في أثناء ذلك ردريج فيدعوه إلى المبارزة ويقتله . ويعلم الملك فردناند بغزو العرب وقتل الكنت في وقت معاً ، وينعى الناعي لشيمين أباها فترفض الزواج من ردريج القاتل وتطلب إلى الملك عقابه ، ويتولى الدفاع عن ولده الدون دييج

شيمين (للملك) : أنا أطلب العدل .

دون دييج : اسمى دفاعي .

شيمين : لقد كسر ايها الملك عضادة صولجانك ، وهدم ركنا من أركانك . إنه قتل أبي .

دون دييج : انه انتقم لأبيه !

شيمين : إن من واجب الملك أن يحقن دماء رعيته .

فيسمع الملك لها وله ، ثم يحيل الفصل في القضية إلى مجلسه .

الفصل الثالث : وفي أثناء انتظار الحكم يدخل ردريج على شيمين يسألها أن تقتله هي بيدها ، فتقف موقف الحيرة مليا بين الحقد والحب ، ثم يفوز الشرف فتصرفه من وجهها وهي مصرة على القصاص . ويلقى الدون دييج ولده فيهنئه بفوزه ، ويمدحه على شهامته ، ويرسله إلى قتال العرب وقد أوشكوا أن يفتحوا أشبيلية ، عسى أن يكون بلاؤه الحسن في جهاد العدو وسيلة إلى عفو الملك وصفح شيمين .

الفصل الرابع : يهزم ردريج العرب تحت أسوار أشبيلية ويعود مظفراً بالأسرى وقد لقبوه بالسِّيد — وهي كلمة السَّيد بالعربية محرفة — فيقص على الملك أنباء مجده ونصره ، وتأبى شيمين مع ذلك إلا القصاص . فيجيبها الملك ويأمر بالمبارزة القضائية ، وهي أن تختار من تشاء ليبارز السيد على أن تكون زوجة الغالب ، فاختارت الدون سانش .

الفصل الخامس : يلقى السيد شيمين فيصرح لها أنه لن يدافع عن نفسه ، وانه لم يجىء إلاليودعها الوداع الأخير فتحاول صده عن عزمه ، ويأبى هو إلا إنفاذه ، فتقول له : «دافع عن نفسك وانقذني من دون سانش ، وإذا خرجت من المعركة فائزاً كنت لك »

فيخرج من عندها قويا بهذا الوعد وينقض على خصمه فيجرده من سيفه ، ويحكم الملك عليه أن يحمل سيف السيد لشيمين ، فينالها الجزع الشديد ظنا منها أنه قتل ؛ ولكن الملك يطمئنها على حياته ، ويعلنها أنها تستطيع أن تتزوجه متى كفكف من دموعها الزمن

(**هوراس Horace**) : وقعت حوادثها في روما في غرفة من بيت هوارس عام ٦٦٨ قبل الميلاد . وموضوعها انتصار روما على « ألب » في موقعة شعواء دامية نشبت بين بنى هوراس وبنى كرياس ، ومغزاها إيثار محبة الوطن على محبة الأسرة ، وأهم أشخاصها ملك روما ، والشيخ هوراس فارس روماني ، وهوراس ولده ، وكرياس أحد أشراف ألب وحبيب كاميل ، وڤالير فارس روماني وعاشق كاميل ، وسابين زوجة هوراس وأخت كرياس ، وكاميل حبيبة كرياس وأخت هوارس ، وجوليا نجية سابين وكاميل .

الفصل الأول : أزف يوم المعركة الحاسمة بين الرومانيين والألبيين ، فتجد سابين جالسة تشكو الى نجيتها صرامة القدر الذى جذم الحبل بين ألب مسقط رأسها ، وبين روما بلد زوجها ، وتألم لحظها المنكود وهمها المتقسم . وتبثها كاميل أيضاً مخاوفها المتوقعة ، وعواطفها المتوزعة ، ويهدىء روع كاميل إشارة من الآلهة ، ولكنها ترى رؤيا تقلق بالها وتقلب حالها . ويقدم خطيبها كرياس فينبئها أن المعركة لن تكون ، وأن قوميهما رأوا حقناً للدماء أن يقصروا المعركة على ثلاثة أبطال من كلا الفريقين ، ويكون فوز الثلاثة فوزاً لقومهم .

الفصل الثاني : يجتمع مجلس الشيوخ الروماني فيختار للمعركة أبناء هوراس الثلاثة . ويقبل كرياس خطيب كاميل فيهنىء صهره بما أحرز من ثقة وشرف . ويأتيه النبأ بعد قليل بأن مدينة ألب اختارت عنها أبناء كرياس الثلاثة . يتأهب الأبطال للذهاب الى المعركة ، ولكن خطيب كاميل يكره أن يقاتل إخوة حبيبته ، بينا زوج سابين لايرى في أصهاره إلا أعداء لروما وأخصاماً للوطن . وتجهد كاميل وسابين في تخذيل الأبطال عن القتال ، ولكن الشيخ هوراس يقبل فيشجعهم على الحرب ويبعث بهم الى الميدان .

الفصل الثالث : تدخل جوليا فتنبىء سابين وكاميل بأن الأقران برز بعضهم لبعض ، وأن الجيشين أدركتهما الشفقة فعارضا في تقاتل الاخوة ، وطلبا إما المعركة بين الجيشين ، وإما الاختيار من غير هاتين الأسرتين . ولكن الشيخ هوراس يقبل

وعلى لسانه الخبر المشئوم بأن الملك استشار الآلهة فى هذ الاختيار فأقروه ، وأن المبارزة بين الاخوة قد بدأت . وتطالع جوليا القتال عن بعد فترى اثنين من بنى هوراس يسقطان مجندلين ، والثالث يلوذ بالفرار ، فتبادر القوم باعلان هزيمة روما . ويتحدم الشيخ هوراس حنقاً وغضباً من جبن ولده . فتقول جوليا : وماذا يصنع واحد أمام ثلاثة ؟ فيجيبها الأب فى شدة وحدة : يموت ! ثم يقسم الشيخ جهد اليمين ليغسلن عار الرومان بدم هذا الابن الجبان .

الفصل الرابع : ولكن ڤالير وقد شهد نهاية المعركة يعود ويقول : استغفروا الآلهة فقد ظلمتم بطل روما ! انه لما بقى وحده أمام بنى كورياس الثلاثة ، وهم مجروحون وهو سليم ، رأى أنه أضعف منهم مجتمعين ، وأقوى عليهم منفردين ، فعمد الى الخديعة وأوهمهم أنه يفر فطلبوه . حتى اذا انفرد كل عن الآخر كر عليهم واحداً بعد واحد فقتلهم ، وبذلك انكسرت ألب ! فتنساغ غصة الشيخ ، ولكن كاميل تجزع على حبيبها جزعاً شديداً يفقدها الرشد فتنحى باللعنة والسخط على أخيها ووطنها . ويدخل حينئذ أخوها المنتصر فيسمعها ، فينزو فى رأسه الغضب ، فيلطخ انتصاره بدم اخته

الفصل الخامس : يجعل هوراس حياته فى يد أبيه تكفيراً عن الجريمة التى ارتكبها ، ويجيء الملك مهنئاً هوراس بفوزه . فيتقدم اليه ڤالير متهماً الأخ بالقتل طالباً موته ، ويستسلم القاتل لعدل الملك . ولكن الشيخ هوراس يتولى الدفاع عن ابنه فيقول: «معشر الرومانيين !! أترضون أن تقتلوا رجلاً لولاه ما كانت روما اليوم ؟ قل لنا ياڤالير وأنت تريد قتل هوراس : فى أى مكان يقتل ؟ أبين هذه الجدران ، ولاتزال آلاف الأصوات ترن فى جنباتها بأعماله العظيمة ؟ أم فى وسط هذه الساحات ودماء بنى كرياس لاتزال تدخن فيها ؟ أم بين قبورهم الثلاثة فى ميدان الوغى وكلها شواهد على شرف روما وشهامة هوراس ؟ . . . » ثم تكون نتيجة هذا الدفاع البليغ البراءة .

ومما أخذه النقاد على كورنيى فى هذه القطعة الخالدة أنه لم يراع وحدة العمل . فجعل فيها عملين مختلفين ، الأول حرب روما مع ألب ، وينتهى بالمنظر الثانى من الفصل الرابع . والثانى قتل كاميل ومحاكمة هوراس وينتهى بالرواية .

(الزيات)

يتبع

شخصية ابن خلدون

فى

كتاب الأستاذ محمد عبد الله عنان

للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى

هيأت لى فرصة حسنة قراءة كتاب الأستاذ عنان الأخير عن ابن خلدون وتصفح مقالات بعض كتابنا المصريين فى التعليق عليه ، وبخاصة مقال الدكتور هيكل والأستاذ العقاد . وقد لفت نظرى فى مقال هذا الأخير ملاحظة تتضمن أن عناناً لم يتناول شخصية ابن خلدون فى كتابه ! ولعل الذين درسوا الكتاب يذكرون أن كل فصل من فصوله حوى مادة غزيرة عن هذه الشخصية ، وإن لم تجمع هذه المادة فى فصل مستقل .

فلقد أفاض المؤلف كثيراً فى ذكر صفات ابن خلدون الخلقية والعقلية أى فى العناصر المهمة التى تقوم عليها كل شخصية . ولعل كتابه وعى من هذه الصفات أكثر مما وعى عن تراثه الفكرى الذى لازال الكثير منه مبثوثاً فى طى المجهول .

أبرز الأستاذ عنان صورة تقارب الحقيقة من صفات ابن خلدون المنيرة والمظلمة أبرزها كما هى بين النور والظلمة ، كما يفعل النابهون فى كتابة التراجم . ووقف من شخصيته موقفاً نزيهاً . فلم يقف منه موقف المحامى الذى يدافع عن الحقيقة حيناً ، ويستخدم فصاحته فى الظفر أحياناً ، بل وقف موقف القاضى النزيه الفطن الذى لا همّ له الا الوصول إلى الحقيقة ، والحقيقة دون سواها . وهذا هو موقف المؤرخ العلمى .

فها نحن أولاء نراه لايقطع برأى فى خلال ابن خلدون حتى يرجع إلى الثقات الأذكياء من المؤرخين ، ويتخذ مقاييسه فى الحكم من أعماله وتصرفاته . ونراه أيضاً يربأ بضميره أن يطاوع بعض الكتاب فى الزراية بابن خلدون ونسبة القبيح إليه ، لئلا يكونوا قد اندفعوا فى هذا السبيل جريا وراء الانفعال الأعمى أو العاطفة الهوجاء . وهذا مانوافقه عليه ، وبخاصة إذا علمنا أن لابن خلدون

أعداء حداداً أسرفوا فى ذمه ، وتدفقت أقلامهم فى الطعن عليه غيرة منه وحقداً .

***

وقد حفل الكتاب بذكر صفات ابن خلدون الخلقية والعقلية إلا أنه مرّ مرّ الكرام على صفاته الجثمانية ومظهره الخارجى . فقد نقل إلينا المؤلف عن السخاوى أن ابن خلدون كان فصيحاً مفوها جميل الصورة ، ونقل عن ابن حجر أنه كان يتمسك بزيه المغربى ، ولم نعثر فى الكتاب على شىء من ملامح وجهه وسمات جسمه ، ولا أعلم ما إذا كانت هناك مادة فى هذه الناحية تعمد المؤلف إغفالها لأن بحثها ليس من عمله ، بل من عمل الفنان والأديب ، أو أنه لم يجد هذه المادة فى كتب القدماء كما هى مع الأسف عادتهم فى إغفال صفات الجسم ، ولعل هذا هو الأرجح .

***

ومن حسن الحظ أن المؤلف أمدنا بمادة وافرة عن خلال ابن خلدون وخلقه ، فنقل إلينا طائفة من أقوال الكتاب الأذكياء أمثال المقريزى والسخاوى وابن تغرى بردى ، والجمال البشبيشى ، والمنتابى ، وابن الخطيب ، وابن حجر . فذكر أن المقريزى وكان تلميذاً له وسمه بسمات حميدة وذكره بالخير ، ولسان الدين بن الخطيب ، وكان من معاصريه ، نعته بحسن الخلق والطموح وعلو الهمة ، وأبو المحاسن بن تغرى بردى أشاد بمقدرته ونزاهته فى ولاية القضاء بقوله : « إنه باشر القضاء بحرمة وافرة وعظمة زائدة وحمدت سيرته » وأبو المحاسن من ثقات المؤرخين المصريين .

إلى جانب هذه الصورة النبيلة لابن خلدون نجد أقلاما ضئيلة مسمومة تشوه صورته وتبهت عليه ، وتزرى بخلقه ، وترميه بالتهمة المؤذية الجارحة . فالمنتابى مثلاً ذكر أن ابن خلدون كان يتهم بأمور قبيحة (ص٩٤) — والجمال البشبيشى اجترأ بقوله إن ابن خلدون كان فى أعوامه الأخيرة يشغف بسماع المطربات ومباشرة الأحداث ، وأنه تزوج امرأة لها أخ أمرد ينسب للتخليط ! (ص ٩٤)

***

جمع الأستاذ عنان هذه الأقوال وعلق عليها بقوله : « إنها أقوال تنم عن خصومة مضطرمة ، ومبالغة فى الانتقاص تنحدر إلى معترك السباب والقذف » وقد يكون الأستاذ محقاً فى هذا التعليق لأن نسبة أمثال هذه التهم إلى هذا العبقرى بلا سند ، مما لا يقبله الضمير النزيه ، وقد تكون هذه التهم أراجيف أذاعها الكاشحون عن قصد وتعمد ولا ظل للحقيقة فيها ، فليس على الأستاذ المؤلف من غبار إذا حكم حكمه الحاسم ، واحتقر هذه التهم كى لا يجرى الوهم إلى تصديقها ، وتصير فى الأذهان اعتقاداً وهى مجرد إرجاف ومراء .

ومع هذا فقد أورد المؤلف كثيراً من صفات ابن خلدون غير المحمودة ، واعتمد فى إيرادها على أقوال ابن خلدون نفسه وأعماله ، فلقد نعى عليه خلتين : أولاهما تلونه ووصوليته ، وثانيتهما كبرياؤه وصلفه . أبرز هاتين الخلتين ابرازاً جلياً ، فانه يقول فى القسم الأول من كتابه أن ابن خلدون كان من عباد الحوادث ، وكان ينتهز الفرص ويسعى لها بأى الوسائل (ص ٣٨) مهما نافت الوفاء والولاء والعرفان (ص ٤٨) وجلا هذه الخلة فى مكان آخر من الكتاب قال : « وكان ابن خلدون يصدر فى خططه وأعماله عن احتقار عميق للعاطفة والأخلاق المرعية ، وكان يسيره مثل ذلك الروح القوى الذى أعجب به مكيافللى فيما بعد . » وأشار فى كثير من المواضع الى خلته الثانية من خلاله البارزة وهى خلة الكبرياء ، وهذه الخلة قد تدل على عزة النفس وعظمتها فتكون خلة محمودة ، وقد تكون متغالية فتصير كريهة مذمومة ، ولقد أيد المؤلف تخلق ابن خلدون بها فى بعض الأوقات وأنها كانت سبباً من الأسباب التى جعلت كثيراً من المصريين يناصبون الرجل العداء .

ومن دلائل هذه الخلة مايقوله البشبيشى من أن ابن خلدون كان يكثر الازدراء بالناس (ص ٩٥) وما يقوله ابن حجر فى كتابه رفع الأصر من أن ابن خلدون كان معروفا بخلق الكبر والازدراء بمقام غيره ، وروى أن القضاة دخلوا للسلام عليه حين تولى منصب القضاء فلم يقم لأحد منهم ، واعتذر لمن عاتبه على ذلك .

***

وأورد المؤلف غير هاتين الخلتين البارزتين خلالاً أخرى عول فى إيرادها على طائفة من الكتاب أثنت على ابن خلدون وأخذت عليه بعض المآخذ ، فمن هؤلاء نذكر ابن تغرى بردى وما قاله فى المنهل الصافى من أن ابن خلدون كان محباً للمنصب ، وما

قاله ابن الخطيب الذى وسمه بالفضائل الجمة يأخذ عليه الخفة فيقول : « إنه كان بعيداً عن التأنى » ، وعلل تحامل رجال الدولة عليه الى هذه الخلة . وابن حجر نقم عليه سوء الأدب أيام كان قاضياً فقال : « كان فظاً جافى الطبع ، وكان يعزر الخصوم بالصفع » .

ولم يقتصر المؤلف فى سوق هذه الحقائق على أقوال الكتاب السالفين ، ولكنه اعتمد فى ذكرها على أقوال ابن خلدون نفسه فى كتاب — التعريف — وهذا الكتاب هو ترجمة ابن خلدون لنفسه . وهذا التعريف الذى يتركه لنا ابن خلدون عن نفسه وحوادث حياته قطعة فريدة فى الأدب العربى ، فهو صورة حقيقية ممتعة لتلك الشخصية الممتازة الجريئة ، رسمت فى كثير من الحرية والصراحة ، حتى إنها لتفصح فى كثير من المواطن عن خلال صاحبها ، وليست هذه الخلال دائماً مما يحمد أو مما تقر الأخلاق الفاضلة ، فهنالك الكبرياء والزهو والأثرة ، وهنالك الطمع وحب التقلب وشغف الدس ، وانتهاز الفرص بأى الوسائل ، ثم هنالك الجحود ونكران الصنيعة ، هذه الخلال كلها أو بعضها نلمحها من آن لآخر ماثلة فى أعمال المؤرخ ومواقفه حسبما يقصها علينا بنفسه (ص ١٤٠)

* * *

وبعد هذا الدرس الطويل الحر لخلق ابن خلدون كشف الأستاذ عنان فى الجزء الثانى من كتابه ركناً من أركان شخصية ابن خلدون المضيئة ، وهذا الجزء يلقى ضوءاً قوياً على عبقرية ابن خلدون ، تلك العبقرية التى صيرته موضع اجلال السلاطين والملوك وذوى النفوذ والجاه ، فهاهم سلاطين المغرب والأندلس يخطبون وده ، وهاهم بنو عريف يكرمون مثواه وينزلونه ضيفاً عزيزاً مع أسرته بأحد قصورهم أربع سنين ، وها هو شعاع العبقرية يسبقه الى مصر المتحضرة ، فيلقاه أهلها بالحفاوة والتعظيم ، ويولونه الدرس فى الأزهر النابه فى ذاك الحين ، ثم يتولى بعد ذلك قضاء المالكية عدة مرات ، وهاهم الكتاب يجمعون على قوة عقله وحدة ذكائه وعلو تفكيره ، حتى أنصفه الحاقدون عليه ، فجمال الدين البشبيشى وهو من ألد خصومه اعترف له بالفصاحة والتفوه ، وابن حجر الذى زرى عليه خلقه ، يظهرنا على ناحية من نواحى عقله يقول : « كان لسنا فصيحاً حسن الترسل وسط النظم ، وكان جيد النقد للشعر ، وإن لم يكن بارعاً فيه » (ص ٩٣)

ولقد كشف لنا الأستاذ عنان عن عبقرية هذا الرجل الفذ وعن شاعريته أيضاً ، وأتى بقليل من قصائده ، وأبان أن هذه القصائد كان يطبعها طابع المرح الصوفى ، وهذه الأبيات تجرى بين دفتى الكتاب كالنهر العذب فى الأرض المثمرة ، ولقد أضاف المؤلف فى القسم الثانى من كتابه أراء كتاب الأفرنج فى عبقرية ابن خلدون وتراثه الفكرى فذكر ما قاله جمبلوفتش من أن ابن خلدون درس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، وأنه أتى فى هذا الموضوع بآراء عميقة (ص١٥٢) وذكر أيضاً ما قاله فون كريمر من أن ابن خلدون نثر بيدين نديتين ثمرات تأملاته الناضجة عن سير التاريخ البشرى . »

* * *

وأظن بعد هذا البيان يمكن للقارىء أن يخرج بصورة صحيحة عن شخصية ابن خلدون ، صورة لاتشيع فيها ولا تحيز ، ظهرت فيها الظلال كما ظهرت فيها الأنوار . وهذا المنحى الذى نحاه الأستاذ عنان فى درس هذه الشخصية جدير بالتفات كتابنا المصريين المغرمين بتراجم العظماء ، ولعل الذين وقع فى وهمهم أن كتاب عنان لم يتناول شخصيته ، يصححون رأيهم بعد هذا البيان الموجز .

* * *

وأحب قبل أن أختم هذه الكلمة أن أدعو القراء إلى قراءة هذا الكتاب القيم ليتذوقوا فيه حرية البحث ونزاهة الحكم ، ودقة الأسلوب وثباته وإيجازه ورزانته .

وأسمح لنفسى بعد هذا أن أهنىء الأستاذ المؤلف على كتابه ، فلقد أعجبت به وبخاصة بالفصل الذى عقده عن « ابن خلدون والتفكير المصرى » الذى أبان لنا فيه خلق ابن خلدون وأوقفنا على تفكير المؤرخين المصريين فى القرن التاسع الهجرى . وأعجبت كذلك بالفصل الذى عقده عن « ابن خلدون والنقد الحديث لأعلام الغرب » . والذى كشف به عن تفكير ابن خلدون الدقيق الذكى .

وأرجو الله أن يزيد المؤلف قوة ليتم ما أخذ به نفسه من التنقيب عن التاريخ الاسلامى ، وحياة أعلام مصر النابهين .

(ميت غمر) **مصطفى عبد اللطيف السحرتى**
المحامى

٢ – مشهد ومكة

للأستاذ أمين الخولى

المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

أصبح من الواجب أن أعود الى الحديث عن مشهد ومكة ، إذ عاد الأخ الأستاذ عبد الوهاب عزام الى الموضوع ، ففتح أبواباً كثيرة للكلام ، وإنها لحقيقة من حقها علينا أن تنجلى وتتكشف

***

ويأذن لى القارىء أن أرسل أول الأمر تحية خالصة الى الأخ فى حله وترحاله ، ودعوات صالحة بأن يوفقه الله دائماً ، وسلاماً اليه . . . ثم سلاماً على عبارات مهتاجة وردت فى كلمته التى رد بها

كل ما فى الأمر : ١ – أن الأستاذ قال مالفظه : « وأفظع من هذا – أى الخطأ كله ؛ قوله – الرحالة – عن اخواننا شيعة ايران أنهم يفضلون مشهداً على مكة » . فقلت له : « لاخطأ ولا فظاعة ، لأن فلاناً العالم الشيعى قال فى كتاب كذا صفحة كذا نقلاً عن كتاب البحار الذى يعد من أمهات كتب الشيعة : « إن كربلاء أفضل من مكة ، فلا خطأ » . قضايا محدودة ، قصيرة ، وجيزة ، واضحة ، متقابلة الأطراف ؛ لاأجد فيها محلاً للمخالفة . . . وليس يقال مع هذا التحديد إنى مجازف فى الاستشهاد بكتب الشيعة قبل الاطلاع عليها ، لأنى قرأت بلا شك ما نقلت ، وقلت بقدر ما قرأت وفهمت . قرأت فى كتاب شيعى عن كتاب شيعى من أكبر إن لم يكن أكبر ما يرجع اليه فى بيان عقائد الشيعة ومذاهبهم ، كتاب عن كتاب ، فهناك على الأقل جمع منطق أيسره اثنان . . . . ثم ماذا قرأت ؟ قرأت أخباراً تنعتها كتب الشيعة بأنها متواترة أى رواية جمع عن جمع ، كما تنعتها بالكثرة ، ويدل مرجعى على مكانها من أجزاء الكتاب الكبير الذى يعزو اليه . . . فدليلى واف بدعواى ؛ وليس من الموضوع فى شىء أنى فرحت بالكتاب أو لم أفرح ؛ وليس يجب فى شىء أن يكون لى بالشيخ مؤلف الكتاب صداقة قوية أو صلة شخصية .

٢ – مع هذا كله يقول الأستاذ عزام فى رده على : « فقد ادعى أن كتب الشيعة تقرر هذا التفضيل ، ثم لم يرجع الى كتب الشيعة ؛ ولم يتحر أقوال أئمتهم ، ولكنه اكتفى برواية فى كتاب فرد لمؤلف ... الخ » فهل لم أرجع الى كتب الشيعة ؟ ! . وهل اكتفيت برواية فى كتاب ؟ ! وهل هو كتاب فرد ؟ ! . على أن الأستاذ بعد هذا بقيراط من الورق ذكر « كتب الشيعة » وما فيها مرتين ، فتتوقع من صاحب الملاحظة السابقة أن يحتج من « كتب الشيعة » بأقل الجمع ولو عند المناطقة وهو اثنان ، ولكنك لاتراه يذكر إلا كتاباً فرداً هو « وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة » على حين يكرر الحديث عن قراءاته وخلاصة قراءاته فى كتب الثقات ، ويتحدث عن قراءاته فى كتب الثقات وهو ذاكر أنى اكتفيت بكتاب فرد ، وأنه لايرى ذلك ، فكيف يجىء هذا ؟ ! .

٣ – لما أراد الأخ الأستاذ نقد خبر الرحالة « تفضيل الشيعة مشهداً على مكة » استنتج استنتاجا وقال : « وكيف يعقل أن أمة مسلمة ... الخ» فسلمت له اختصاراً واقتصاراً أن هذا غير معقول ، وقلت عرضا إن مالايعقل قد يعتقد ، وان العقل ومنطقه شىء ، والاعتقاد وسلطانه شىء آخر . فقال أعزه الله : إن هذه فلسفة لم يتهيأ هو لفهمها . فليسمح لى اذن أن أقول فى غير فلسفة :

ا – إن من المعقول أن يكون الحج إلى مكة فرضاً وأن تفضل الشيعة مع ذلك مشهداً على مكة ؛ فالأخ يعرف أن الوقوف بعرفة ركن فى فريضة الحج ، ويعرف أن زيارة الرسول عليه السلام ليست ركناً فى تلك الفريضة ولاواجباً ؛ ويعرف فى الوقت نفسه أن المسلمين جميعاً يفضلون زيارة الرسول عليه السلام ويتطوعون بهذه الزيارة فى غير موسم الحج من أيام السنة ؛ ويشدون الرحال لها ، ويتمنون المجاورة بالمدينة المنورة ، ويؤثرون الموت فيها . ولاأعرف واحداً منهم جاور بعرفة أو حرص على زيارتها . فتفضيل مشهد على مكة يتفق تعقله مع كون الحج إلى مكة فرضاً . هذا هو القدر المعقول فى المقام ، والذى يتصل بفرضية الحج إلى مكة وتفضيل مشهد عليها .

ب – لكن الأستاذ عزاما لايقول هكذا ، بل يقول : « وكيف يعقل أن أمة مسلمة شديدة الغيرة على دينها تعتقد أن

الحج إلى مكة فرض ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، كيف يعقل أن هذه الأمة ترى زيارة مشهد أفضل من الحج إلى مكة » . ولنا هنا مواقف : إن الرحالة ناقل بخبر ، ولا يرد الخبر بهذا الاستنتاج العقلي ؛ فأثم التناقض على المفضلين لا على المخبر . ولا يقال لناقل الخبر إنك خاطىء ، بل يقال إنه كاذب أو غافل أو غير متحر وما إلى ذلك .

على انا لو جاوزنا هذا نرى التناقض المعقود غير ما نحن فيه . فخبر الرحالة أو دعواه — ان شئنا — أن الشيعة تفضل مشهداً على مكة ؛ وكذلك تقول عبارة الأستاذ عزام في نقده ، وتفضيل مشهد على مكة غير تفضيل زيارة مشهد على الحج إلى مكة ؛ ولا يلزم من تفضيل مشهد على مكة تفضيل زيارة مشهد على الحج إلى مكة ، كما لم يلزم من تفضيل مسجد الرسول عليه السلام على عرفات تفضيل زيارته على الوقوف بعرفة ؛ ولن ننسى أن الرحالة — في نقل الأستاذ عزام — يخبر بتفضيلهم مشهداً — لا زيارتها — على مكة — لا على الحج إليها —

حـ — والعجب أن الأخ الأستاذ يقحمني أيضاً في مسألة الزيارة والحج ويضع في رده خطاً تحت قوله « زيارة مشهد أفضل من الحج » كأني كنت فيما كتبت مشتغلا بنقد استنتاجه لا بتصحيح خبر الرحالة من كتاب شيعي غير عامي ؛ والأستاذ بذلك يقول عني إني أدعي « على بعض المسلمين أنهم يفضلون زيارة كربلاء على الحج وهو قاعدة من قواعد الاسلام » وأنه فاتني التثبت في ذلك الادعاء . . الخ . ومن الفكه أن لفظتي « حج » و« زيارة » لم تردا في كلمتي مطلقاً ، بل لم تقعا كذلك فيما استشهدت به من كلام العالم الشيعي المحدث مطلقاً ؛ ولم تردا إلا في الفقرة المنقودة التي نقلتها من كلام الأخ عزام ، فكيف حملني عبء هذا الادعاء ؟ لا أدري ! ولعله هو يدري .

وأخيراً ، نقل الرحالة ثابت تفضيل الشيعة مشهداً على مكة متفق مع ما ينقله عالم شيعي عن عالم شيعي ويعدانه متواتراً ، وليس يتنافى هذا التفضيل مع فرضية الحج إلى مكة ، وليس يلزم من هذا التفضيل زيارة مشهد على الحج المفروض ، وهذا التفضيل لمشهد على مكة شيء آخر مغاير لتفضيل زيارة مشهد على الحج الى مكة ؛ وأسأل الله لي ولأخي الثبات والتثبت دائماً ؟

أمين الخولي

في تاريخ الأدب المصري

أيدمر المحيوي

تتمة

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

أما الوصف في شعر شاعرنا فهو وإن كان غير مقصود له بالذات يحدثنا كذلك عن بعض نواحي الحياة المصرية ، وبعض الجمال فيها ، يحدثك عن الطبيعة المصرية في زمن الربيع ، فيصفها وصفاً دقيقاً ، ويحدثك عن الاحتفال بوفاء النيل ، فيصفه كأنك تراه ، ويصف لك الأبنية التي بناها الملك الصالح فيجعلك تشعر بالعظمة والأبهة اللتين تمتعت بهما تلك الأبنية . ويصف لك الجيش المصري فتحس بالمجد المصري والقوة المصرية والشجاعة المصرية التي لا تنثني عن قصد ولا تهزم أمام حصن مهما كان عظيماً .

قال يصف الجيش المصري الذي فتح دمشق :

جيشاً تغص به الأرض الفضاء كما … تراكم الغيم يوم الدجن ذا زجل
من الكماة التي تطوى ضلوعهم … على العزيمة والاقدام ، لا الفشل
من كل أمضى من الهندي في يده … عزماً ، وأنفذ إقداماً من الأسل
يكون أثبت يوم الروع من جبل … راس ، وأجول في الصفين من مثل

ولننصت اليه حين يصف لنا الاحتفال بوفاء النيل ، وكأنه يصف لنا الاحتفال الذي لا نزال نراه بأعيننا في كل عام ، قال :

يوم تجلى الدهر منه بزينة … لما غدا المقياس وهو مخلق
هو ثالث العيدين إلا أنه … لهو ، ليس على البلادة يطلق
جمعت لمشهده خلائق غادرت … فيه رحيب البر ، وهو مضيق
وعلى عباب البحر من سباحه … أمم يغص بها الفضاء ، ويشرق
كادت تبين لهم على صفحاته … طرق ، ولكن يفتقون ويرتق

ثم مضى يصف الأنوار ، ويصف المليك يحف به حاشيته الى آخر ما وصف به ذلك اليوم ، فاذا أنت ذهبت تستمع إليه ، وهو يحدثك حديث إبداع عن طبيعة مصر في الربيع سمعته يقول :

الروض مقتبل الشبيبة مونق … خضل يكاد غضارة يتدفق
نثر الندى فيه لآلىء عقده … فالزهر منه متوج ، ومنطق
وارتاع من مر النسيم به ضحا … فغدت كأنما زهره تتفتق
وسرى شعاع الشمس فيه ، فالتقى … منها ومنه سنا شموس تشرق
والغصن مياس القوام كأنه … نشوان يصبح بالنعيم ويغبق

والطير ينطق معرباً عن شجوه	فيكاد يفهم عنـه ذاك المنطق
غرداً يغني للغصون فتنثني	طرباً جيوب الظل منه تشقق
والنهر لما راح وهو مسلسل	لايستطيع الرقص ظل يصفق
فتمـلَّ أيام الربيع ، فإنها	ريحانة الزمن التي تستنشق

فهو قد رسم لك بشعره ذلك صورة جميلة للرياض والزهر المتفتح الذي ارتاع من مر النسيم في الضحا فتفتحت أكمامه ، وقد كان الندى عليه كحبات العقد فأضحى عليها كالتاج أو النطاق ، ثم هذه الغصون المياسة كأنها سكرى والطير يغني على تلك الغصون فتهتز لهذا الغناء طرباً ، والنهر يصفق فرحا ، والشمس تلقي أشعتها على هذا الجمال كله ، فيبدو للمرء منظر هو أبدع ما في الطبيعة من مناظر الجمال .

٤

لشاعرنا المحيوي موشحات عارض بها سواه ، وهي تعد بحق من أجمل الموشحات وأبدعها ، وهو أحياناً يسير على أوزان الشعر العربي ، وأحياناً لايسير عليها ، وأنت تحس في بعض موشحاته بآثار الصنعة اللفظية ظاهرة جلية ، وهو حين يعارض سواه في موشحاته يضمن موشحه أول بيت من الموشح الذي عارضه ، ولذلك يضطره الحال إلى أن يدع المدح وينتقل منه إلى الغزل على عكس السنة المعروفة لدى الشعراء .

ولقد كان شاعرنا فخوراً بشعره الفخر كله ، مملوءاً به تيها ، يعتقد أن شعره يفوق شعر غيره ويسمو عليه حتى قال :

إن القريض – وإن تكاثر ساكنو	أفيائه – للعبد فيـه الأوحد

وكان أحياناً لاينشد الممدوح قصيدته إلا بعد أن ينشده سواه ليتمكن الممدوح من أن يرى الفرق بين شعره وشعر غيره ، غير أنه في بعض الأحيان كان لايجد مركزه وما يواتيه به الدهر متناسباً مع جودة شعره وبلاغة قوله فيشكو ويلح في الشكوى ، ويتألم أشد الألم ، ولقد كان شعره فضلاً عن عذوبته التي تحس بها جاريا على قوانين النحو والصرف إذا استثنينا بعض أخطاء لاتكاد تذكر ، غير أنه قد أخطأ حقاً حين قال يهنيء بالعيد :

لاأهني مولاي بالعيـد إلا	خوف تعطيل سنـة تعتاد
فمن الجهل أن يهنا بعيد	من به الدهر كله أعيـاد

فمع صحة المعنى لانشك مطلقاً في أنه ليس من أدب الخطاب أن يقال لأحد لاأهنيك بالعيد في مفتتح الكلام ، ولكن شاعرنا لم يعن إلا بالمعنى وصحته بدون نظر إلى جمال الافتتاح وهو ليس أول من هفا تلك الهفوة بل سبقه بها سواه من الشعراء والشعراء المبرزين.

نظم شاعرنا قصيدة طويلة سماها الوسيلة المشفعة في مناقب الخلفاء الأربعة ، وهي قصيدة طويلة تبلغ تسعة وسبعين ومائة بيت ، عدد فيها مآثر الخلفاء وذكر فضائلهم ، وبدأها برأيه فيهم كلهم وهو :

كل من الخلفاء غير مُحَلَّأٍ	عن مورد الشرف الذي لايورد
ولهم سوابق أنزلت كل امرىء	حيث اقتضاه له التقى والسؤدد
وأقر بعضهم لبعض بالذي	يسمو به من فضله ويمجد
فمضوا ، ولم يتدافعوا حسناتهم	كل لصاحبه يقر ويشهد

ثم مضى يعدد فضائل كل مبتدئاً بأبي بكر ، ذاكراً مآثره في الاسلام : فهو أول من آمن بالنبي ، ولما مرض النبي أنابه عنه في الصلاة ، فكان ذلك من النبي تقليداً له بالخلافة ، ولذا كان أولى الناس بها ، ولقد جمع أبو بكر أمر المسلمين بعد أن كادوا يتفرقون يوم السقيفة ، وحارب أهل الردة حرباً موفقاً أعاد للاسلام بهجته ، ثم حارب الروم والفرس ، وكانت خاتمة حسناته أنه ولى الأمر عمر من بعده ، وعمر هذا طالما نزل القرآن موافقاً لرأيه وما بدا له ، كما أن النبي كان يطلب من الله أن يعز الاسلام بدخوله فيه ، حتى إذا دخل فرح المسلمون ، وجهروا بدينهم بعد أن كانوا يخفونه ، لما كان له من المكان العظيم بين قومه وعشيرته ، حتى إذا ولى أمر المسلمين بعد أبي بكر سهر على الرعية ومصالحها بعين لاتغفل ، ففتحت الدنيا في عهده ، ودرت الخير الوفير على المسلمين ، فاذا أنهى عمر وتحدث عن عثمان ذكر له إعانته للمسلمين بماله ، وصومه وصلاته ، وزواجه من بنتي النبي وفضله يوم جيش العسرة ، ويوم بيعة الرضوان ، ثم رد على من ينتقصه بقوله :

نطق الكتاب بفضله فمن الذي	يرتاب فيه جهالة أو يجحد
إلا كفور للهـدى متنكب	أو جاهـل في غيه متردد
ولكبر مانقموا عليه ضلة	قربى تبر ، وهفوة تتعمد

ثم انتهى إلى علي فحدثنا عن قربه من النبي ، وتربية النبي له ، وزواجه من ابنته ، وإسلامه صبياً فلم يدنس الكفر نفسه ، ولم يسجد لصنم طوال حياته ، ثم وصف عدله ، وعلمه ، وتواضعه ، وعبادته وورعه وزهده وشجاعته وبلاغته ، وكل هذا الحديث عن الخلفاء الراشدين ينطق بأن شاعرنا سني يفضل الخلفاء كلهم لاشيعي يقدم علياً على سواه ، بل هو يرتبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة ، غير أنه مما يلاحظ أنه أثنى على أبي بكر

وعمر بأعمالها بعد الخلافة ثناء مستفيضاً ؛ حتى إذا جاء إلى على وعثمان أثنى عليهما بفضائلهما الشخصية أكثر مما أثنى عليهما بأعمالها بعد الخلافة ، وربما يكون منشأ ذلك أن أبا بكر وعمر كانت أعمالها بعد الخلافة فى تثبيت دعائم الاسلام ونشر دعوته أكثر من زميليهما ، ومن أجل هذا كان الثناء المستفيض .

قبل أن نختم حديثنا عن صاحبنا المحيوى نريد أن نشير إلى أنه كان ناثراً مثلما كان شاعراً ، غير أن نثره لم أعثر عليه ، ولعلى أوفق يوماً ما إلى الاطلاع عليه ودراسته ، ولقد ألف كذلك كتابا أهداه إلى ولى نعمته محيى الدين محمد بن سعيد لا نعلم اسمه وإن كنا نستطيع أن نفهم موضوعه حين نقرأ قوله واصفاً إياه .

العبد أيدمر تطلب تحفة ... تكسى القبول لسيد الأصحاب
فرأى أجل هدية تهدى له ... ذوب النهى ، ونتائج الألباب
فأجال فى روض القرائح فكره ... ثم انتقى منه لباب لباب :
من طيب نادرة ، ولطف فكاهة ... وبديع بادرة ، وحسن خطاب
وسوائر الأمثال قد وشحتها ... فيه بمعجز سنة وكتاب
والجد موصولا بهزل ينشط ال ... قارى ، ويطرب أيما إطراب
ونوادر الحكماء والبلغاء ، وال ... خطباء، والشعراء، والكتاب
وجمعت فيه إلى سلامة رقة ال ... حضر اللطيف جزالة الأعراب
فأتاك كالحسناء قد لبست على ال ... أثواب ثوب نضارة وشباب
والروضة الغناء أهدت نشرها ... ريح الشمال ضحى غداة سحاب

فهو مجموعة فيها النوادر والفكاهات ، وفيها الأمثال والحكم ، وفيها طرف من نثر الخطباء والكتاب ، وبعض من شعر الشعراء ، فأنت تنتقل فيه من جد إلى هزل ومن هزل إلى جد ، فتطرب ولا تسأم القراءة ؛ وتلك طريقة معروفة لدى مؤلفى اللغة العربية فهم من قديم قد استنوا تلك السنة وساروا عليها فى مؤلفاتهم .

٦

لم نهتد إلى تعيين عام وفاته كما ضن علينا التاريخ بمعرفة عام ولادته ، غير أنه مما روى عنه أنه كان لطيف المحضر فاضلاً مهذباً ، أحضر ديوان شعره إلى ابن العديم وكان قد حضر رسولاً عن السلطان الملك الناصر فتصفحه وأعجبه ، وكتب على الديوان :

وكنت أظن الترك تختص أعين ... لهم إن رنت بالسحر فيها وأجفان
إلى أن أتانى من بديع قريضهم ... قواف هى السحر الحلال وديوان
فأيقنت أن السحر أجمعه لهم ... يقر لهم هاروت فيه وسحبان

وعسى أن يواتينا الزمن يوماً بكل شعره ونثره ، وتاريخ حياته مفصلاً فندرسه دراسة مستفيضة تليق ببلاغته .

أحمد أحمد بدوى
المدرس المنتدب بثانوية نابلس

من طرائف الشعر

بين الليل والصبح

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

انظر الى الكواكبِ   يسبحن فى الغياهبِ
مِن ذاهب فى شوطه   ولا حقٍ بالذاهب
الى الطوالع الوِضا   ء الزُهر والغوارب
الى الجمال آخذاً   الى الشعاع السائب
والليل ساجٍ قد خلا   من العَصوف الصاخب
يعبرن عُرضَ بحره   من جانبٍ لجانب
غَرقى الى الجيد ، الى   الثدى ، الى الترائب
أرسلن شَعراً من أشـ   ـعةٍ على المناكب
وقد حللن ما على الر   ءوس من عصائب

***

ما إن رأت عين امرئ   أبهى من الكواكب
يلمعن مثل الماس أو   كوَمضة الحُباحب
يمشين أسراباً كأسـ   رابٍ من الكواعب
يذهبن من مشارق الـ   أرض الى المغارب
والليلُ ضاربٌ روا   قه على الجوانب

***

كلّ الجمال فى النجو   م اللُمّع الثواقب
العاريات للخلا   عات من الجلابب
الغامزات بالعيو   ن النُجل والحواجب
ما إن لهن غير نشـ   ر النور من مآرب
يضحكن من شيبى ومن   آمالىَ الكواذب
أشدو بما لهنّ من   حسنٍ ومن مناقب
كأنهن الحور يُطـ   ـلِبنَ من المَراقب
أمن بنات الليل هُنّ   أم من الربائب؟

أم من طيور الخُلد يَر   فنَ على المشارب
عصائب يقعنَ أسـ   راباً على عصائب
والماء فى المَجَرّة الـ   بيضاء غير ناضب
وربما اختلفن فى الـ   ميول والمذاهب
خاطبتهنّ لو سمعـ   نَ القولَ من مُخاطِب
يا لهفتى على ضيا   ع للشهاب الثاقب
قد خرّ من عين الدجى   ليلا كدمعٍ ساكب (١)

***

وخيّم الليل ونا   م القطبُ فى المضارب
ماذا الذى قد خلّف الـ   قطبَ عن الصواحب
ما أجهل الليل ، وقد   خيّم ، بالعواقب
فليس يدرى ما يلا   قيه من المصائب
لقد رماه الفجر فى الصـ   در بسهم صائب
وكان لمّا ناله   بالسهم غير كاذب
وكشر الليلُ عن الـ   أنياب كالمغاضب
وجرّد الصبح عليـ   ه السيفَ كالمحارب
وظلّ يفرى جلدَه   فَرْىَ حَنيقٍ غاضب
جرّ الغرورُ الليلَ مخـ   ـذولا الى المعاطب
ملاقياً جزاءه   من ثائرٍ مُعاقِب
والليل لا يقوى على   ردّ الصباح الواثب
يفرّ كالمغلوب من   وجه القوىّ الغالب
وهو جريح ، دمُهُ   يجرى على الجوانب

***

ما انتصر الليلُ بما   جَمّعَ من كتائب
بل إنه اختفى عن الـ   عين كملحٍ ذائب
إن عبس الليل فليـ   س الذنب للكواكب
فهنّ يتبسمنَ حتـ   ى للعدوّ الناصب
هو الذى جنى فكُنْـ   نَ عرضةَ النوائب
وظلّت الشعرى تنا   جى الصبحَ كالمعاتب

***

بين الصباح مُسفِراً   والليل ذى الغياهب

---

(١) من سكب اللازم بمعنى جرى

ثأرٌ سيبقى فتقُه دهراً بغير رائب
غمَّ النجومَ ما تُقا سيه من المصائب
والصبحُ لمّا راعها ما كان بالمداعب
كأنه بازٌ جرى يسطو على أرانب
أو قسورٌ مُمارسٌ سطا على ثعالب
يريد أن يفترس الـ أنجمَ بالمخالب
فغرنَ جمعاء من الـ خشية فى المذانب
انى لأقرأ الأسى فى الأوجه الشواحب
أجفلنَ لا يحملنَ غيـ ر الخوف فى الحقائب
تؤذى العذارى فى الحيا ة قِلّةُ التجارب
تالله ما هـذى الوجو ه الغرُّ للنوائب

***

والعندليب هبَّ يشـ دو بانتصار الغالب
والديك صاح يعْلن السرورَ للصواحب
كأنما قد فرحا بنكبة الكواكب

***

يا كوكبَ الصبح لك الصـ بح من الأقارب
ما كان ينبغى له صفعُك كالمعاقِب
لا تيأسَنَّ وانتظر ليلَ الغد المقارِب
تكن كما قد كنتَ فى الـ عين من الرغائب

***

يا أيها الصبح الجميـ ل يا ملاذَ الراعب(١)
لقد قسوتَ حين أخـ نيتَ على الكواكب
رميتَ شملهنَّ بالتـ شتيت والمصاعب
ما ضرَّ لو حميتهنَّ مثل أمٍ حادب
كنَّ ينبنَ عنك فى الـ ليل الطويل اللازب
وكن زينةَ السما ء فى عيون الراقب

***

ما أجمل الشمسَ بدت مُرخيةَ الذوائب
قد طلعت فى موكب من أفخم المواكب
تنثر من ضيائها تبراً على الجوانب
على البحار والجبا ل الشمِّ والسباسب
ياشمس أنت للورى من أكبر المواهب
حبيبةٌ أنتِ الى الشبّان والأشايب
أكبِرْ بما تُهدينَ من نورٍ ومن كهارب!

بغداد جميل صدقى الزهاوى

(١) الخائف

بسمة

للأستاذ محمد خورشيد

هاتها من فم القدَرْ بَسمةً تفتنُ البشرْ
تُفسِحُ الصدرَ للرّجا ءِ وتَنفى قوى الكدرْ
إنما الحظُّ خِلسةٌ فاغتنمْ منهُ ما بَدَر
إجعلِ الهنا كعبةَ المُنَى
يضحكِ العُمُرْ
أهملِ الدّهرَ ما طَغَى لا تَخَفْ منهُ إن بَغى
وادَّرِعْ بابتسامةٍ تُحرِزِ النصرَ فى الوغى
لم يُجندلْهُ غيرُ مَن لاذ بالهزْء والسَّخَرْ
عِشْ كحزبهِ لا تثقْ بهِ
طالما غَدَرْ
أمسِ، كالحلمِ أدلَجا عودُهُ ليس يُرتجى
وغدٌ، مِن ضميرِه لمْ يرَ الغيبُ مَخرَجا
فابتغِ (اليومَ) كلَّ ما يشتهى السمعُ والبصرْ
روِّ بالأمَلْ فُسحةَ الأجَلْ
تصرفِ الغِيَرْ
دغدغِ النايَ واعزفِ لحنَ هيمانَ مُترَفِ
واسقِنى قبلَ صحوتى ريقَ عذراءَ قرقفِ
فندامايَ أكؤسٌ راحُها يخطفُ البصرْ
رحمةُ الصَّمَدْ صاحِ لا تُحَدْ
كمْ وكم غفرْ!

القدس: محمد خورشيد

النفس الضائعة

للأديب سيد قطب

أإنّى أنا ؟ أم ذاك رمزٌ لغابرٍ ؟
لأنكرتُ من نفسى أخصّ شعائرى !
لأنكرتُ إحساسى ، وأنكرتُ منزعى
وأنكرت آمالى ، وشتّى خواطرى
وأنكرتُ شعرى ، وهو نفسى بريئةً
ممحضةً من كل خِلطٍ مخامر
ويفصلنى عما مضى من مشاعرى
عهودٌ وآباد طوال الدياجر
وأحسبها ذكرى ، ولكنّ بُعدَها
يخيّل لى أن لم تمر بخاطرى !

***

أنقّب عن ماضىَّ بين سرائرى
فألمحه كالوهم أو طيف عابر
أعيش بلا ماضٍ كأنىَ نبتةٌ
على السطح تطفو فى مهب الأعاصر
وما غابرُ الإنسان إلا جذوره
فهل تمَّ نبت دون جذر مؤازر ؟
أنقب عن نفسى التى قد فقدتُها
بنفسى التى أعيا بها غير شاعر
وأطلبها فى الروض إذ كان همها
تأمله ، يُغفى بتلك الأزاهر
وفى الليل إذ يغشى وكانت إذا غفا
تيقظ فيها كل غاف وسادر
وفى الليلة القمراء إذ تهمس الرؤى
وتومئ للأرواح إيماء ساحر
وفى الفجر ، والأنداء يقطرن ، والشذى
يفوح ، ويشجى سمعه لحنُ طائر
وفى الحب إذ كانت شواظاً وحرقة
ومهبط آمال ومطمح ثائر
وفى النكبة النكباء ، والغبطة التى
تجود بها الأقدار جود الحاذر
ولكننى أيئستُ أن ألتقى بها
وتاهت بوادٍ غامر التيه غائر
سأحيا إذن كالطيف ، ليست تحسُّه
يدان ، ولا يجلوه ضوء لناظر

سيد قطب

من وحى المرض .

الى صورتها الحبيبة . . .

بقلم مختار الوكيل

ياصورةً قد عبدتُ فيها صورةَ مَنْ أبدعَ الوجودْ
أنتِ التى قد ضمنتِ خلدى بوحيك الباسم السعيد

***

أعيش فى عالم الدنايا سأمان من حِصّة العبيدِ
الداء ! يا ويلتا ، غزانى بجيشه الساغب المبيدِ
والصحب ! أواه من صحابى لم يرأفوا بالفتى العميدِ
ياليتهم حين أهملونى لم يطلقوا الهجوَ كالرعودِ !

***

يا طلعةً قد لمحتُ فيها تهلّلَ الوردِ فى الخدودِ
وبسمةً قد قَبَسْتُ منها بشائرَ العالم الجديدِ
أموتُ والنورُ منكِ ضافٍ على دُجى قلبىَ الشريدِ !

***

ياما أُحَيْلَى الممات ، لولا مرارة الحبْسِ فى اللحود !

***

كم هاجس ضجّ فى خيالى وثارَ فى خاطرى البليدِ
وأنت يا فِتْنتى أمامى وبين كفّىّ كالوليدِ !

***

غَفَرْتُ كلّ الذى دهانى فى عالَمِ الظُّلم والكنودْ
ببسمةٍ منكِ لا تُرَانى ونظرةٍ تضمن الخلودْ !

مختار الوكيل

الأدب الانجليزى

فى القرن التاسع عشر

للأستاذ بشير الشريق

اطلعت فى عدد الرسالة التاسع والخمسين على كلمة موجزة للأستاذ محمود الخفيف فى نقد كتاب « الأدب الانجليزى الحديث » الذى قدمه الأستاذ سلامه موسى للجمهور مؤخراً ، وقد ظهر لى من هذه الكلمة .

أولاً — ان الأستاذ مصنف الكتاب أو مؤلفه قد نعت العصر الفيكتورى مابين ١٨٣٠ — ١٩٠٠ بأنه عصر خمول فى الأخلاق والأدب ، بينما يرى الأستاذ محمود الخفيف هذا العصر من أرق عصور الأدب الانجليزى وأحفلها بالحركات والاتجاهات الأدبية الجديدة .

ثانياً — ان الأستاذ سلامه يشير فى كتابه إلى تجديد فى الأدب الانجليزى ظهر عام ١٩٠٠ فيوافقه الأستاذ محمود على ظهور هذا التجديد ويذكر أنه ثمرة من ثمار العصر الفيكتورى الناهض .

وأنا بدورى أود أن أقول كلمة فى الموضوع أختلف فيها مع الأستاذين الفاضلين فى مسائل ، وأتفق معهما فى أخرى ، فأرجو أن توسع مجلة الرسالة الغراء صدرها لهذه الكلمة :

١ — إن مؤرخى الأدب الانجليزى الحديث لا يوافقون الأستاذ سلامه موسى على قوله : « إن الأدب الانجليزى قد اتجه طول مدة القرن التاسع عشر نحو الصياغة اللفظية دون التفكير والاقتحام » ويرونه قد حاد كثيراً حين رمى الأدب الانجليزى فى القرن التاسع عشر بالضعف والقبح والفساد لأن هذا العصر الذى يمتد من عام ١٧٩٨ إلى عام ١٨٩٢ من أزهى عصور الأدب عندهم اشتهر بمذاهبه الأدبية الجديدة وبتنوع شعرائه وكتابه الذين خرجوا فيما ينظمون ويكتبون عن أساليب القدماء . وإلى القارىء مايذكره المؤلفان الانجليزيان « وايت Wyatt » و « كلى Clay » عن الأدب الانجليزى فى القرن التاسع عشر فى كتابهما « الأدب الانجليزى الحديث . Modern English Literature » ص ١ — ٣ :

إذا كان من العسير ان نقع على تاريخ يحدد لنا نهاية عصر من عصور الأدب أو بدايته ، وكان من النادر أن يتفق مثل ذلك التاريخ مع فسحة الزمان إلى قرون أو عصور أو أجيال ، فان القرن التاسع عشر قد امتاز بأنه كان ممثلاً أحسن تمثيل لدور انتقال بيّن فى الأدب الانجليزى . نشر (وردثورث) و (كوليردج) (قصائدهما الغنائية) قبل بزوغ فجر القرن التاسع عشر بعامين فقط فى عام ١٧٩٨ ، فكان ذلك النشر خدمة عظيمة للفن والأدب وعاملاً من أهم العوامل التى قلبت المذاهب الشعرية الأولى وهدمت النظريات الأدبية القديمة ، وكأنى بتلك القصائد الغنائية قد أعلنت نهاية الطريقة الاتباعيـة (Classic) فى الشعر باحياء الطريقـة الابتداعية Romanticism

إن الروح الرومانتيكية لم تكن حتى أيام (ورد ثورث) و (كوليردج) قد استيقظت والأساليب الشعرية القديمة لم تكن قد نسخت .

هذا مايذكره المؤلفان العالمان عن أهمية عام ١٧٩٨ بالنسبة لتاريخ الأدب الانجليزى ، فلنصغ إلى حديثهما عن وحدة الأدب فى القرن التاسع عشر :

« فعام ١٧٩٨ إذن يكاد ينفرد فى انه يعين بوضوح ابتداء عصر جديد للأدب ، عصر إصلاح وتجديد أطلق الشعر فيه من قيود « الاتباعيين » والقرن التاسع عشر يبدو لنا ذا وحدة تامة كما كان عصر الياصابات ١٦٦٠ — ١٧٩٨ فلم يفقد فيه الشعر الروح الابتداعية « Romantic » التى أمده بها (ورد ثورث) ومعاصروه ، وقد ظلت رواياته النثرية فى تقدم مطرد . إن أدب العلم والتاريخ والفلسفة قد امتاز فى هذا العصر بطريقته الجديدة التى أدنت مسائله وأوضحتها ، والتى اختلفت عن طريقة القرن الثامن عشر اختلاف (دارون) عن « لوك »

قد ترى الأجيال المقبلة فى مذاهب (ماثيو أرنولد) الاتباعية أو فى الطريقة (الابتداعية) الجديدة التى دعا إليها (روسيتى) و (موريس) مالم نره نحن من خطورة وأهمية ، غير أن مايمكننا قوله الآن هو أنه لم يقم حتى العهد الذى ظهر فيه (ورد ثورث) و (كوليردج) ثورة تهدم الطرق القديمة وتكون جديرة بأن تعتبر فاتحة عصر جديد .

لاينبغى أن نطنب — طبعاً — فى وحدة أدب القرن التاسع عشر أو بالفروق التى كانت بينه وبين أدب القرن الثامن عشر ، إن كل ماننوى التحدث عنه هنا هو أن نظهر أن الوحدة الأدبية كانت فيه تامة ، وأن الفارق الذى يدعونا إلى درس أدبه كأدب عصر خاص كان ظاهراً جلياً .

ولقد تظهر فوارق الشعر أكثر وضوحاً فى هـذا العصر ، يرجع ذلك إلى النزاع العنيف الذى قام بين شعراء المدرسة القديمة فى القرن الثامن عشر وبين شعراء الطريقه الابتداعية فى فجر القرن التاسع عشر ؛ أما الروايات النثرية فمن المؤكد أنه لم يدخلها تبدل ظاهر ، لأن روائيي القرن التاسع عشر كان يرضيهم بوجه عام ان ينشروا فن أساتذتهم فحسب — أساتذة القرن الثامن عشر .

ولو تتبعنا حقل النقد الأدبى الآن لأ مكننا أن نقع على تغير واضح فى طرقه وأسـاليبه وقواعده ، وهذا التغير يظهر بارزاً جلياً منـذ اليوم الذى تفتحت فيه عبقرية « كارليل » ودفعت بالنقد فى طريق جديدة . كان النقد فى الربع الأول من هذا القرن يتفق فى أصوله وأساليبه مع نقد القرن الثامن عشر ، وكان الناقد هو من يحسن وضع الخلاصات ، ويجيـد المديح والهجاء ، حتى اذا جاء « كارليل » كان أول مبشر بطريقة النقد الحديثـــة الصحيحـــة ، التى يهمها الشرح والتفسير والايضاح الاصولى للمبادىء الجديدة . »

دور ١٧٩٨ — ١٨٣٢ . وخطره .

ويقول المؤلفان الفاضلان :

مات « اسكوت ، وكريب ، وبنتام » عام ١٨٣٢ وعاش من بعدهم « وردثورث » ثمانيـة عشر عاماً أيضاً ، و « كوليردج ولامب » عامين ، و« مور » عشرين ، و« سواسى » احد عشر ، و « كامبيل » اثني عشر ، لقد أدى كل واحـد مـن هؤلاء الأعلام رسالته قبل عام ١٨٣٢ ، أما (كارليل) و (ما كولى) ، و (تنسون) و (هود) و (بالوير) و (ليتون) والسيدة (براوننك) من مشاهير الـكتاب فلم يكونوا قد نشروا حتى عام ١٨٣٢ سوى خواطر صباهم . وفى عام ١٧٩٨ كان عمر كيتس وشيلي وبيرون يتراوح بين الثالثة والعاشرة ، ثم لم يأت عام ١٨٣٢ حتى كان قد مضى على وفاة الثلاثة ثمانى سنوات أو أكثر ، وهكذا تظهر لنا أهمية الخمسة والثلاثين عاماً التى بين ١٧٩٨ ، ١٨٣٢ من الناحية الفنية الشعرية .

وفى الحق أنه مامن عصر من عصور الأدب الانجليزى حتى عصر الملكة الياصابات يستطيع مناظرة هـذا الدور ١٧٩٨ — ١٨٣٢ فى سمو التصوير وسرعة الانتاج ، فقد بذّ ببدائعه الفنية الرائعة عصر الملكة الزاهر .

إن فى مجرد تعداد كتاب الطبقة الأولى والثانيـة شيئاً من الغرابة والقوة والتأثير ، يكفى أن نذكر من الشعراء (وردثورث) و (كوليردج) و (بيرون) و (شيلى) و (كيتس) و (لاندور) و (مور) و (ساوس) ، ومن الـكتاب (اسكوت) و (اوستن) و (هازلت) و (ويلسن) ، حتى تجعلك تؤمن بعظمة هـذا الدور ، ثم إليك نتاج عام واحد : فى عام ١٨٠٦ ظهرت رواية (اىما) لجان أوستن ، و (تشايلد هارولد) ، (وحصار كورنث) و (سجين تشيلون) لبيرون ، و (الفناء القديم) لاسكوت ، (وحاجتنا الى الجحود) لشيلى ، وكثير من المؤلفات القيمة .

بعد كل ماتقدم ماأحسب أن القارىء يشايع الاستاذ واضع كتاب (التجديد فى الأدب الانجليزى الحديث) فى قوله : (إن الأدب الانجليزى قد اتجه طول مدة القرن التاسـع عشر نحو الصياغة اللفظية دون التفكير والاقتحام) ، وفى قوله : (ان العصر الفيكتورى مابين ١٨٣٠ و ١٩٠٠ كان عصر خمول فى الأخلاق والأدب . . الخ) بل أعتقد أنه يرى الصواب والحكمة فى معارضة الأستاذ محمود الخفيف له فى رأيه هذا .

***

أما هذا التجديد الذى أشار الأستاذ سلامه موسى الى ظهوره فى الأدب الانجليزى عام ١٩٠٠ ووافقه عليه الأستاذ محمود فانه فى رأى (وايت) و (كلى) لم يوجد حقيقة ، وان الشعر فى هذا العام وما أعقبه من أعوام (من عام ١٨٩٢ — ١٩١٩) قد سرى اليه الضعف ، وجهل أربابه (روبرت بريدج ، بلانت ، وليام ونـون ، ارثر سيمون ، حنا دافيـد سون ، كبلنج ، هاردى) الغرض منه ، فمالوا الى زخرف القول وتدبيج اللفظ بأنواع البديع وأوغلوا فى ذلك حتى قبحت مبانيهم وسمجت معانيهم . والى القارىء مايذكرانه فى كتابهما المشار اليه ص ٢١١ — ٢١٢ .

« يرينا الشعر فى هذا الدور ١٨٩٢ — ١٩١٩ ضعفاً بيناً ؛ ليس فى صور التعبير وآداب النظم ، بل فى النجابة واتساع أفق التفكير ؛ لقد تجنب فيه معظم الشعراء السجايا النفسية وعواطف الحب وفتنة الجمال ، فاكتفوا بمغازلة الوداد العائلى ، وقراءة أفكار الرجل من غير أن يتعرضوا لخوالج نفسه ؛ كانوا أطفالاً فى تفكيرهم ونظراتهم ، قل أن يخوضوا فى البحث والجدل والتفسير ، بل كان مجرد (التبليغ) هو كل ماتصبو اليه نفوسهم ؛ يطربهم الجمال الطبيعى (الفيزيكى) أو أن يكتشفوا فى صورة اصطلح الناس على

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

العلوم

٢ ـ التلفزة فى عهدها الأول

للأستاذ محمود مختــــار
بكلية العــلوم

جهاز الاستقبال .

تحدثت فى رسالة سابقة عن جهاز الارسال للتلفزة . والخطوات التى مرت بها صورة الجسم المتلفز من بدء تحليلها الى مساحات صغيرة بواسطة القرص المثقب أو حلزون المرايا ، ثم إسقاط الأشعة الضوئية المنعكسة من هذه المساحات الصغيرة على التعاقب على خلية كهرضوئية حيث تحولت الى دفعات كهربائية ، ثم تكبيرها فاذاعتها فى الأثير .

والآن نحن عند جهاز الاستقبال حيث تصل الينا هذه الدفعات الكهربائية بعد أن التقطها الهوائى « Arcal » وأرسلها الى الكاشف اللاسلكى « Detector »

وتأخذ عملية استقبال هذه الأمواج حتى إخراج الصورة النهائية ثلاث خطوات أيضاً هى بعينها ماينا ظر خطوات الارسال مأخوذة فى ترتيب عكسى . فتبدأ أولى الخطوات بكشف هذه الأمواج وفصلها عن باقى الأمواج اللاسلكية المنتشرة فى الأثير وتكبيرها . ثم تليها الخطوة الثانية وهى تحويلها من دفعات كهربائية الى أخرى ضوئية . ثم تأتى الخطوة الثالثة وهى إعادة تركيب هذه الدفعات الضوئية بجوار بعضها لتخرج صورة الجسم المطلوبة .

أما خطوة الكشف والتكبير « Detection, Amplification » فهى كنظيرتها فى جهاز الارسال — خطوة التكبير والاذاعة — فى المقام الثانى من الأهمية لباحث التلفزة . ويكفى لنا الآن أن نعلم أنها تتم بواسطة دائرة من الصمامات هى بنفسها دائرة أجهزة السمع العادية — ولا داعى للخوض فى تركيبها وعملها فى مثل هذه العجالة — وكما تؤخذ تلك الأمواج الكهربائية المكبرة فى جهاز السمع الى البوق لتحويلها الى دفعات صوتية تؤخذ هذه بعد تكبيرها أيضاً الى المصباح الغازى أو الى خلية كر « Kerr cell » لتحويلها الى دفعات ضوئية ، وهذه ثانية خطوات الاستقبال .

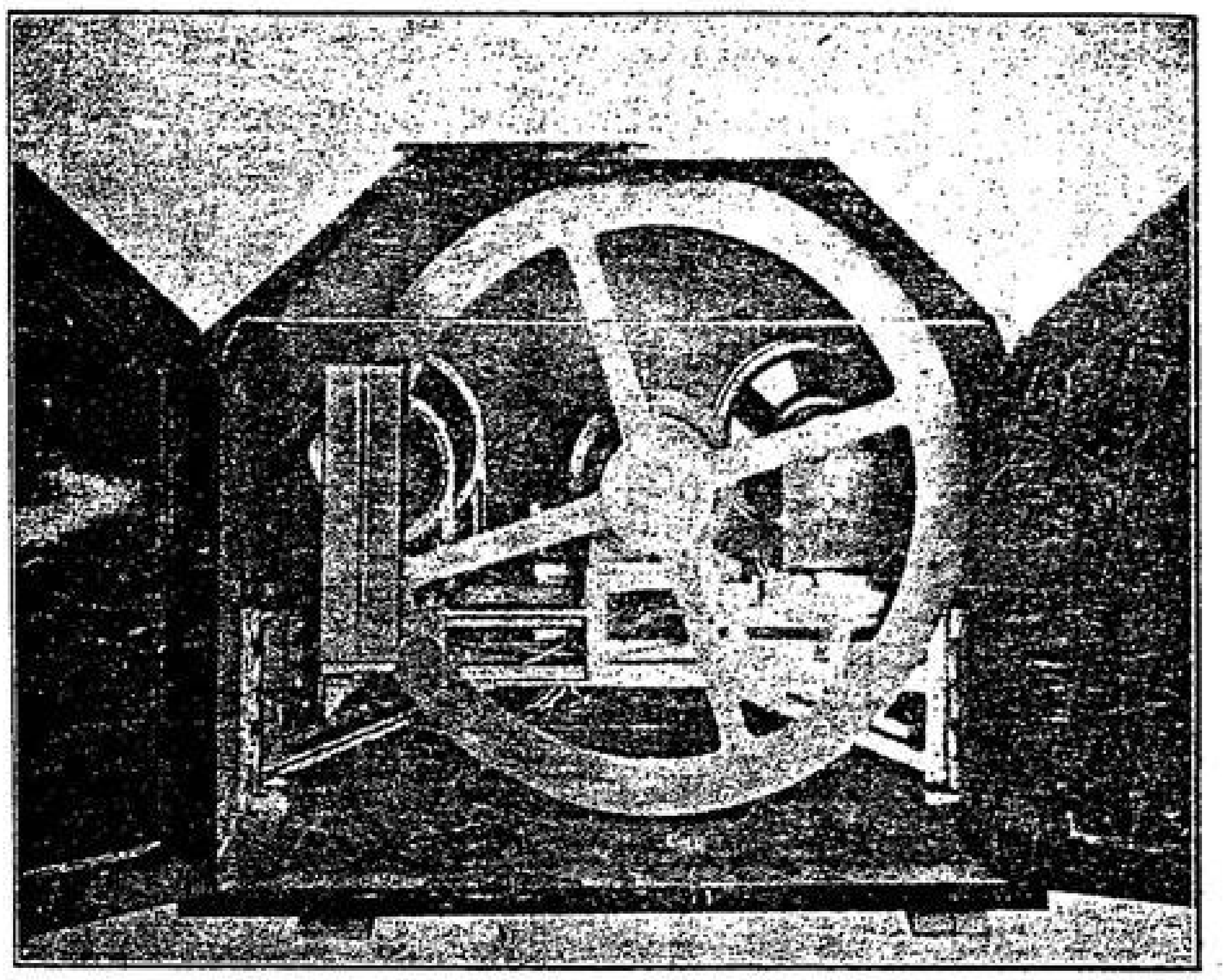
والمصباح الغازى ولو أن لفظه ليس مطروقاً إلا أنه كثيراً ما تقع عليه أبصارنا على واجهات المحلات التجارية الكبيرة فى شكل أنابيب ضوئية كهربائية للاعلانات تأخذ ألواناً مختلفة أحمر أو بنفسجياً أو أزرق أو غيرها . هذه الأنابيب الضوئية ما هى إلا شكل محور من المصابيح الغازية المستعملة فى التلفزة لتحويل الطاقة الكهربائية إلى أخرى ضوئية . وهى عبارة عن انتفاخ زجاجى (شكل ١) فى حجم الصمام الكهربائى العادى يحوى بداخله غاز النيون أو الأرجون أو بخار الزئبق تحت ضغوط صغيرة جداً تقرب من بضعة مليمترات . وبه قطبان أحدهما الكاثود ، ويكون القطب السالب للمصباح وهو عادة على شكل صفيحة رقيقة من النيكل . والثانى الأنود ، ويكون القطب

تقبيحها شيئاً يدعونه جمالاً حقاً ؛ تقيدوا بأوزان العروض وعانوا طول الدرس ليتمكنوا من تحسين عباراتهم وتطبيقها على مايتخيلون من التشابيه والاستعارات ؛ هم تلامذة (لوردثورث) نبذوا مثله الأسلوب الشعرى ونظموا معظم منظوماتهم غنائية ، إنما كانوا يوقعونها على أوتار خرساء ، نعم على أوتار خرساء لأنها تقف بمعزل عن الحياة ومسائلها ، ولا تدعونا الى التفكير فى سر الوجود والعدم تفكيراً يجعلنا نرى بعين عقلنا العالم أكثر وضوحاً . . »

***

هذا ما رأيت أن أثبته تعقيباً على كلمة الأستاذ محمود الخفيف التى انتقد فيها كتاب (التجديد فى الأدب الانجليزى) تأليف الأستاذ سلامة موسى ؟

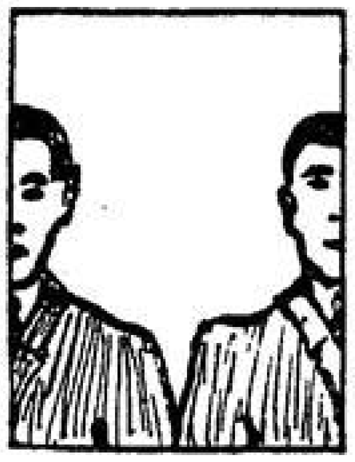
شرق الأردن — بشير الشمريقى



شكل (٢) جهاز كامل للاستقبال

السرعتان ولو اختلافاً بسيطاً لحصلنا على خيال لا يدل إلا على سحب غير مفهومة من الضوء والظلام . والطريقة الوحيدة لضبط السرعتين هى إرسال دفعات كهربائية ثابتة التردد من مصدر منفصل آخر لاعلاقة لها بالجسم المتلفز أو توزيع الضوء أو غيره . بل تتوقف ذبذبتها على سرعة دوران قرص جهاز الارسال فحسب . وهذه تستقبل عند جهاز الاستقبال بجهاز منفصل أيضاً حيث يكشفها ويكبرها ويسلطها على محرك القرص لتضبط سرعته تبعاً لسرعة قرص الارسال . وهذه طريقة فضلاً عن أنها تستلزم جهازى استقبال منفصلين فهى تزيد الاذاعة والاستقبال تعقيداً على تعقيد .

فكر (بيرد) فى أن يرسل من نفس جهاز الاذاعة باشارة يكون ترددها لايتوقف إلا على سرعة دوران القرص ، وذلك بأن جعل شعاع الضوء الخارج من ثقب القرص فى جهاز الارسال عند ما ينتهى من رسم خطه الرأسى من الضوء على الجسم المتلفز لايبدأ شعاع الثقب التالى له إلا بعد وقت قصير ، وهكذا بين كل ثقب وآخر يمضى مثل هذا الوقت الذى يسبب دفعة ضوئية مظلمة فى الخلية الكهرضوئية ترددها ثابت ويتوقف على سرعة القرص ، أى يساوى ٣٠ × ١٢½ = ٣٧٥ ذبذبة فى الثانية ، لأن بالقرص ثلاثين ثقباً وسرعته ١٢½ دورة فى الثانية . هذه الاشارة ترسل وتستقبل مع باقى دفعات الجسم كأنها واحدة منها ، ولكن يمكن فصلها بسهولة عنها ، لأن ترددها صغير جداً بالنسبة لتردد دفعات الجسم . وعلى ذلك تفصل عند جهاز الكشف الأول وتأخذ طريقاً آخر حيث تكبر ثم تسلط على محرك قرص الاستقبال لتنظم سرعته .



شكل (٣) صورة مشطورة نشأت من اختلاف خطوة القرصين

وقد تتساوى سرعة القرصين تماماً ، ولكنا نرى الصورة النهائية مشطورة إلى نصفين [شكل ٣] وينشأ هذا من اختلاف الخطوة . ومن أمثلة اتحاد السرعة واختلاف الخطوة ما نشاهده إذا لاحظنا صمامى عجلتين متشابهتين فى دراجة مثلاً أثناء سيرها . كلتا العجلتين تسيران بنفس السرعة ، ولكن ذلك لا يستلزم أن يأخذ صماماها موضعين متشابهين تماماً . فهما فى هذه الحالة متحدتان فى السرعة ومختلفتان فى الخطوة . واختلاف الخطوة هذا هو مايسبب شطر الصورة وأظن ذلك واضحاً بقليل من التفكير .

* * *

وبالرغم من كل هذه المجهودات الجبارة مازال جهاز التلفزة للاستقبال محروماً من دخول المنازل . وبالرغم من نجاح التجارب التى عملت عليه حتى الآن نجاحاً كافياً ، فان الأجهزة مازالت على شىء من التعقيد وصعوبة التداول لشخص عادى . والعالم بطبيعته يرغب فى البساطة بقدر الأمكان كما يتمنى أن يتخلص — فى منزله على الأقل — من الأجهزة ذات المحركات الميكانيكية . فهو يأمل فى جهاز للتلفزة له سهولة جهاز السمع فى استعماله . فهل يقف العلم دون ذلك ؟ ؟ . . .

قريباً سوف يتحقق له ما يريد : فمذبذب أشعة الكاثود على الأبواب والجميع ينتظره . وآمل أن آتى على ماوصل العلم فيه فى رسالة قادمة .



شكل (٤) أول صورة تلفزت

وقبل أن أختتم هذه اللمحة عن التلفزة أريد أن أنوه ببعض نواح مختلفة تخرج عن مجرد إرسال صور أو أشخاص .

أولاً : التليتوكى وهى تلفزة أفلام سينمائية ناطقة كما تذاع الاسطوانات الموسيقية . ولنقدر من الآن ما سيهدد دور السيما بانتشار هذه التلفزة .

ثانياً : التلفزة فى الظلام أو «Noctovision» وذلك باستعمال الأشعة تحت الحمراء بدل الضوء العادى . وستكون هذه ساعد البحّار الأعظم لخوض البحار المجهولة فى ظلام حالك ، وكأنه فى وضح النهار . كذلك فى الحروب سوف تمكن هذه من رؤية حركات العدو وسكناته وهو فى ظلام حالك بدون أن يشعر .

ثالثاً : التلفزة بالألوان الطبيعية ، وذلك باستخدام قرص ذى ثلاث لفات من الثقوب مغطاة بثلاث زجاجات شفافة ملونة بالألوان الأحمر والأزرق والأصفر . واستعمال ثلاث خلايا كهرضوئية وثلاثة مصابيح غازية كل منها يعطى أحد الألوان السابقة .

رابعاً : التلفزة المجسمة «Stereoscopic Television» أو عرض الصور مجسمة بدل أن تكون فى مستوى واحد

خامساً : حاكى التلفزة «Phons-vision» وكما يدل عليه اسمه هو جمع ما بين الحاكى [الجرامفون] و المتلفز . وهو إشراك الصور وحركات الأشخاص مع حديثهم وموسيقاهم على اسطوانة واحدة من اسطوانات الحاكى . بحيث ترى وتسمع فى آن واحد .

محمود مختار
معيد بكلية العلوم

القصص

من صور الحياة — قصة واقعية

ظمأ الروح

« مهداة الى : H. M »

للأستاذ عبد الحليم عباسى

كان فتى خيالى النزعة ، أغرته هذه الأفكار السوداوية ، فاندفع فيها ، لا يرى أن الحياة تتسع لغير هذا الشقاء يعلق بها من مفتتحها الى حيث الحد بين الدنيا والآخرة ، ومضى تعبث الكآبة بناضر شبابه ، الى أن غدا وهو فى مَيعة العمر ، ناحلَ القدّ ، حائل اللون ، رطبَ الجفن كأنما عَلِق به أثر من أدمع البارحة .. واذا ما أصغيتَ اليه وهو يتحدث أسرتك هذه الغُنَّة فى صوته ، وهذا العمقُ فى أفكاره ، ورحتَ تعجب كيف يستطيعُ هذا الظلُّ حمل كل هذه الشجون ؟ .

عرفته فى بلدة الجمال — الشام — فقامت بيننا صداقةٌ موثَّقة العقد ، متينة الأواصر ، يشوبها الاجلالُ من جانبى والرثاء من جانبه ، فقد كنت فى نظره واحداً من هذه الملايين التى تتعثر بآمالها ، وتتمرمر بأمانيها ، وغبرنا على هذا زمناً الى أن فرقت بيننا دواعى الحياة ، وبقى خالداً فى فكرى ، خالداً فى روحى ، ومضت سنون لم نتلاق فيها ، الى أن جاءتنى منه هذه الرسالة أثبتها للقارىء ، ففيها قصة طريفة :

ياصديق :

ما كنت أظن أن كلامك يكون جداً وأنت تهزل ، فلقد اعترضتنى هذه — الجنية — التى شد ماحدثتنى عنها ، واستطاعت أن تلامس حياتى بعصا سحرها ، فتغير منها .. ثم تمر بأناملها الجميلة على أجفانى فأغدو أبصر وأرى أن هذا الوجود ينطوى على أشياء كثيرة جميلة .

. . . وتفصيل الخبر أنى هبطت هذا البلد ، وشدتنى اليه ضرورات لاأستطيع الافلات منها ، ومرت الأيام والشهور متشاكلة متشابهة ، وقد كنت لا أزال أسدر فى كآبتى ، وأتخبط فى مآتى أشجانى ، حتى كان يوم اللقيا بهذه الساحرة ، فكأنما بُعثت خلقاً جديداً ، واستطاعت أن تنقى حياتى من كل هذه الأفكار الشائكة . . . فلقد كانت تكبرنى بأعوام ، وكانت تكبرنى بهذه الأفكار نقتها التجارب وأخلصتها من كل خطل ، وشاء الدهر الساخر أن يكون بين أبى وزوجها علاقة . . . وزوجها هذا — غفر الله له — ليس له ميزة من علم أو جاه . غير هذا الجاه الرخيص الذى تبعثه المادة ، وهو يجمع بعد الى قبح الجهل ، دمامة الشكل ، وسمح لى أن أتردد الى بيته ، وراقه أن يجد أن زياراتى تبعث فى زوجه روح الغبطة والسرور ، فينضر فرعها الذابل ، وتدب الحياة فى روحها الرازح تحت هذا الألم الحبيس الذى يعج فى صدرها . . . وكأنه كان يشعر أن بينه وبينها عدا فارق العمر ، تبايناً فى الروح والفكر . .

وكنت أشعر وأنا أتردد اليها أنى أقاد الى الهاوية ، فهذا الصوت الهادىء المتزن ، يعيد اليك ذكرى لذة غابرة ، وهذه العين غرقى فى صفائها تغازل النور ، محال أن يقوى على ندائها روح يتعشق الجمال . . . ولقد كنت قادراً على أن أكتمها حبى ، وما حاجتى الى الافضاء به ، وأنا لا أطلب أكثر من أن أجلس اليها ساعات ترفه عن روحى ، وتغذى مشاعرى ، غير أنا فى احدى جلساتنا ، وقد تشعب بنا الحديث ، وأخذت علينا الغبطة يقظات الارادة ، سمعت صرخات روحى فى داخل البدن . . . أننى فى حاجة الى الامتزاج بها ، الى الفناء فى ذاتها ، وكأنها أحست بما أحسست به فالتحمنا بالنظر .

وقالت عينها ، لاحاجة الى الثورة — إنى أحبك —

فأجابت روحى من عينى — وأنا أحبك —

ولكنَّ عينها عادت فقالت إنى أحتقر ملذات البدن ، فلا تطمع بها ، فقلت وأنا أحتقرها ، لقد مللتها ، إن روحى هى الصادية.

وفى تلك الجلسة أعلنت لها حبى ، وباحت لى بمثله . . .

***

ومن ذلك الحين ، أصبحت لا أقوى على فراقها ، ولا أطيق الأبتعاد عنها دقيقة ، ولقد تعاظم أو تضاءل الوجود — لاأدرى — فأصبحت هى كل شيء فيه ، واستقرَّ حبها فى أعماق ناراً ، فغدوت بجانبها أحترق .

ومرت الأيام مفعمة بالهناءة ، فكنا نلتقى كل يوم ، لاأرتوى من هذه الكلمات تندُّ عن هذه الشفاه الجميلة ، ولااشبع من النظر الى هذا المحيا الذى يبعث اليك فى كل لمحة فكرة تحمل معانى الرضى عن الحياة . . .

وأشهد أن جمالها أدنانى كثيراً من حمى الله . . وارتفع بنفسى الى عالم أندى من عالمنا هذا ، يرى منه الانسان مبلغ ما تتردى فيه الخلائق من سخافات ، ومبلغ ماتنطوى عليه البشرية من حماقة .

وكنا نتخير من الأمكنة أهدأها ، ونهرب بسعادتنا بعيدين عن الضوضاء والصخب ، وكأنها وهى ترقى القمم ، أو تنساب معى الى الوادى دُنيا من الفتنة تتحرك . . على أن هذه التشابيه والصور كانت تجيش بنفسى ولاأجرؤ على إسماعها إياها . . . فهى لا تسمح لى أن أصور تموجات النسائم على غدائرها ، ولا كيف تفتضح الموسيقى والشعر ، قبالة ضحكتها وبسمتها ، ولقد سألتها مرة عن سر هذا الأمتعاض ، فقالت : ذلك أن الجمال ليس فى الشكل ، وإنما هو فيما وراءه . . . على أن فى كلامك غلواً ، قلت : نعم ولا ، الجمال فيما وراء الأشباح ، وليس فى كلامى غلواً ، وكذا أنتِ ترين أن جمالك أمثلُ من أن نتطاول الى وصفه ، فصمتت ثم قالت : دع هذا وخذ فى غيره .

قلت : فليكن فقد يجرُّ الى ما أخذنا على أنفسنا العهد بالابتعاد عنه . . . ثم تأخذ الحديث بلباقة وتديره على الوجه الذى تريد ، مبتعدة فيه عن كل مامن شأنه أن يستثير فيك هذا الذى يطمع فيه عباد البدن . وهى إذ تحدثك لاتجهد فى إقناعك ، بل تلقى الفكرة موجزة واضحة ، ثم تتركك تتخيل ، وتقيس وتقارن ، ولك أن توافقها أو تخالفها فهذا ليس بالشيء المهم ، وإنما المهم أن تفكر ! .

***

شارف العام أن ينتهى ، وأنا لاأزال فى غمرة حبها أضوى جسماً ، وأنمو فكراً وإحساساً ، أصبحت شغلى الشاغل ، لقد لهوت عن العالم ، ونسيت أن به خلائق يعزُّ عليها أن ترى ألآفاً تمتزج بالمحبة ، وتلتحم بالروح ، حتى كان اليوم الذى سحق فيه قلبى ، وتحطمت كأس سعادتى ، فقد جئتها فى عصاراه كالعادة ، لنذهب الى نزهة اتفقنا عليها ، فجلست إليها ريثما تنهى عملها ، وتصلح من شأنها ، ولكنى أوجست خيفة ، وأنا ألاحظ عليها أثر اضطراب تحاول جهدها إخفاءه ، ثم رأيتها تتحفز للكلام ، وبعد لأى استطاعت أن تجمع شتيت إرادتها فقالت :

إصغ الىّ . . . . قلت : كلى آذان . . . .

قالت : أو لم تسمع ؟ . . لقد أكلتنا الألسنة ! .

قلت : لاأدرى ماتقصدين ؟ قالت : ستدرى.. إن هذه البشرية المتمرغة بالخسة ، المتهافتة على الساقط من اللذة ، لاترى من الممكن أن تقوم علاقة بين متحابين ، لا تمت الى هذه الأسباب الدنيا ، ولا تنبع من هذه المنابع الآسنة التى منها يستقون علاقاتهم.

قلت ، وقد قام بنفسى أن أدارى ألم الصدمة : ليكن هذا نخلهم وصغائرهم ، فما تصاحبنا لبذل فى الخلق .

فوجمت قليلاً ، ثم قالت : ليس عن غباوة تتكلم ، وعاجلتها دموعها ، وقد والله ياصاح رأيت أنواعاً من الدمع ، فما رأيت أشجى ولا أبعث للأسى من دموع هذه الحسناء البريئة المظلومة ، إنها بهذه القطرات تحاول أن تستنطق العناصر وتستشهدها على طهرها وظلم الانسان .

قلت : هونى عليك أو بلغ الأمر الى هذا الحد ؟ ! . . .

قالت : أجل ! ومن حين وأنا أكتمك إياه ، وزوجى وأقرباؤه لقد طلبوا منى أن اقطع معك هذه العلاقات ، انهم يرونها خطراً على كرامة الأسرة ، وغداً يسافر بى الى بلد ناء كتم عنى اسمه وإخاله لن يعود إلا متى رحلت ! ! . . .

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

الكتب

القيثارة السارية

لطاهر محمد أبو فاشا

قرأت ديوان هذا الشاعر الشاب فأعجبني منه تنوع موضوعاته وراقنى هذا النشاط الذى يبدو فى قصائده ، وهذه الحركة التى تنتقل به من الوصف إلى التوجد إلى نقد بعض مظاهر الاجتماع .

بيد أنى أصارح شاعرنا بأنه قليل العناية بتهذيب شعره وإحكام قوافيه ، فان فى قصائده بعض العيوب اللفظية وبعض المجازات والأخيلة التى لا يستسيغها الذوق ، كما أنى ألاحظ على الشاعر الفاضل أنه شغوف بالتلاعب بالألفاظ ، يتدفق فى غير روية ، وعهدى به سليم الذوق سريع إلى معرفة مواضع الجمال فيما يقرأ من الآثار الأدبيــة ، وليت شعرى كيف تنسب مثل هذه الأبيات إلى من كانت هذه صفاته إلا أن يكون أساس ذلك الأهمال . أنظر إليه يقول :

وأنى قد دعوت وبح صوتى   وأنـك لا ترق ولا تجيب

وانظر إلى قوله :

اهدمى مهجتى بصــبرك هدما   واسألى الحب فى الفؤاد المهدم

وإلى قوله :

أنا بين هاتيك الحمام حمامة   تصف الشعور بشعرها الرنان
المرء يقتـــله الشعور وربما   هز الشعور الميت فى الأكفان

وانظر إلى قصيدته فى ملـكة الجمال عند سفح أبى الهول :

يكاد أبو الهول لولا الجلال   يعـربد مما رأى حوله
وكم سبح قد من صخرة   يحب الجمـال ويصبو له
وأوهمها أنه كالجمــاد   لتأمنه فتطيـل الوقوف
ولولا مخافته أن تخاف   لقام يدق لها بالدفوف

إلى غير ذلك من الأخيلة التى نحب أن يخلص منها شعر طاهر إن شاء الله ؟

الخفيف

ودارت بى الأرض الفضاء وصرخت كالمذعور :

محال هذا ، إنهم يملـكون منك الجسد ، أما الروح فهو وقف على محبتى ، لن أدعهم — وأنا قادر — يحطمون كأس حياتى ..

كيف يفصلونك عنى ؟ ! أيفرق الروح عن الجســد دون أن يتقوض ؟ . . .

ثم كانت ساعة افتضح فيها جلدى ، فطفقت أبكى ، لقد بكيت كثيراً ، وماصحوت إلا وهى تضمنى ، وتبللني بدمعها ، ثم طبعت على فمى قبلة ، طبعت على فمها مثلها ، هى أول وآخر قبلة ، هى أثمن ما أمتلك من ذكرى . .

* * *

ومالى أشق عليك ، لقد انتزعوها منى كما ينتزع الطفل عن ثدى أمه ، لقد ذهبوا بأجمل حياتى ، وموئل ذكرياتى .

لقد كانوا قساة ، فلم يرحموا غرباء جاءوا دنياهم على عجل ، وسيمضون كما جاءوا .

لقد ذهب معها الصبر ، فأصبحت هذه الدنيا فى نظرى كشراك الطائر ضيقة قفراء من كل ما يلهم العزاء

وأنى لى أن أحمل كل هذه الدنيا من الأوصاب ، فسقطت مريضاً خائر القوى ، ولى هاهنا — بالمستشفى — شهران لا أبل إلا لأنتكس . .

وقد جاءتني بالأمس منها كلمة هى : « الى الملتقى .. » إذن فهى تعرف أنى بالمستشفى ، بدليل أنها كتبت العنوان ورقم الغرفة ، تخبرنى أين تـكون لقيا المرضى . . وأكبر ظنى أنها مثلى مريضة إن الدنيا أضيق من أن تتسع للقيا القلوب الطاهرة .

الى الملتقى . . حيث يتبع الحسن دون رقيب ، وحيث تروى القلوب الظامئة الى الجمــال . . . الى الملتقى . . . الى الملتقى . . .

شرق الأردن   عبد الحليم عباسى

همام

قصة تمثيلية شعرية لعلى احمد باكثير

ناظم هذه الأقصوصة أديب حضرمى تعجبك فيه براعة نظمه وعربية ديباجته ، ويحمل بين جنبيه قلبا يخفق للعروبة التى خالطت دماءه كما يتبين لك ذلك من مقدمته النثرية التى يقول فيها « والشعب الحضرمى شعب عربى صميم تجرى فى عروقه دماء قريش وهمدان وحمير وكندة ومذحج » وتدور القصة حول محور واحد ، ألا وهو حفلات الزواج فى عاصمة الأحقاف ... والناظم ممن يتشيعون لتعليم البنت فيقول على لسان همام (ص ٥)

صار فرضا عليك أن تنشرى هـ ذا الهدى فى جماعة النسوان
فهدى الشعب من هدى أمهات الشعب فى كل موطن وزمان

ويقول فى موضع آخر فى هذا الموضوع نفسه على لسان فتاة :

فيم غادرتم البنات على جهـ ل وقمتم تعلمون البنينا
كيف نستطيع بالجهالة يوما أن نؤدى أمانة الله فينا

والناظم يجيد الوصف ويحسن التصوير مما يدل على ذوق محمود ، ومقدرة قوية فى رسم ما تقع عليه عيناه ، فيقول مصورا الشاى فى الكأس :

لولا انتصاف الكأس خيل أنها فى كف ساقيها تقوم بذاتها

ويسوؤه أن يرى الألاعيب والمهازل تمثل فى وطنه تحت ستار الدين وهو برىء من تلك الأفاضيح الساقطة ، ويهزأ برجال الدين الذين يدعون أنهم يذودون عن حياضه ، ويدافعون عن بيضته وهم أبعد الناس عنه ، فيسخر بهم قائلا :

ولى الله ذو الحبـ وة والأردية الخضر
وذو المسواك فى العمة قد أربى على الشبر
ورب السبحة الغارق فى التسبيح والذكر
بها يذكر فى الناس ولا يذكر فى السر

والأقصوصة على هذا المثال البديع من النظم التقليدى ، وهى فى أسلوبها وفنها أروع منها فى روحها ومعناها ، وهناك هفوات كنا نود أن يترفع عنها الناظم كما فى قوله :

يوه ما أجملها من فتاة يوه ما أصلحها لهمام ؟

صـــــلوات الله تغمر طه وحماها الله من عين رام

ومثل المبالغة المجوجة فى قوله يصور الحب :

ولقد لقيت به دواهى لو رعين الجبال تركنها تربا

ومن حسن الحظ أن مثل هـذه الأبيات قليل ، ولا يشين أقصوصته مثل هذا المغمز ، وإنا لنهنئه على ذلك خاصة وهو مازال فى غضارة الصبا وميعة العمر . م

تربيــة الطفل

للدكتور شخاشيرى

وهذا الكتاب أيضاً من الكتب التى نتناولها فى غبطة وإعجاب ، فما أحوجنا فى حياتنا الاجتماعية إلى مثل هاتيك الكتب القيمة التى تبحث فى الصحة وعلى الأخص مايتعلق منها بالطفل .

والكتاب الذى أحدثك عنه قد سار على نهج فريد ، فهو سلسلة أحاديث موضوعة على طريق الحوار بين طبيب وإحدى الأمهات ، ويتناول كل حديث ناحية من نواحى حياة الطفل كتغذيته ونظافته وخصائص الأطعمة الصالحة له ، وما يطرأ عليه من الأمراض ..... الخ مما جعل الكتاب سهل المأخذ بعيد المرمى ، خفيف المحمل ، هـــذا إلى علم واسع وتفاصيل دقيقة ما أجدر الأمهات والآباء أن يستوعبوها لخير أطفالهم ، ولقد أضاف الدكتور الفاضل إلى الكتاب نص محاضرته التى ألقاها فى دار جمعية الحشرات الملكية فى مؤتمر المجمع المصرى للثقافة العلمية وموضوعها التأمين على صحة الطفل ، كما اختتم الكتاب ببعض الآراء القيمة فى موضوع الطفولة لثلاث من فضليات المربيات ، وإنا لنشكر للدكتور الفاضل عمله الانسانى وإخلاصه الذى يتجلى فى كتابه للطفل ووالديه .

الخفيف

أدولف هتلر

زعيم الاشتراكية الوطنية

مع بيان المسألة اليهودية

تأليف أحمد محمود الساداتى بدار الكتب

كتاب يقع فى نحو مائة وستين صفحة من القطع المتوسط جيد الطبع ، متين الورق ، وضعه مؤلفه الفاضل ليشرح به حركة من أهم الحركات التى تشغل بال العالم الآن ، وإنه ليسرنا أن يكون بين إنتاجنا الأدبى ما يشهد باهتمامنا بتلك الحركات الشعبية التى تخرج عنها المطابع فى الغرب مئات الكتب ، وإن هذا الكتاب الذى أحدثك عنه لنزيد فى اغتباطنا أنه بحث منظم واف بالغرض تقرؤه فتقف على الأحوال السائدة فى ألمانيا اليوم وموقف حركتها الوطنية من العالم ، ولقد أحسن المؤلف جداً بما أورده من مقدمات تاريخية عن ألمانيا منذ عهد تأسيس الامبراطورية الى الحرب العالمية ، ثم بما قام به من شرح المسألة اليهودية ، وشرح النازية وبرنامجها وروحها والشيوعية فى ألمانيا وموقف النازية منها إلى غير ذلك من الأبحاث الوافية ، وليس ثمة ما يؤخذ على المؤلف الأديب سوى تحمسه لهتلر تحمسا ظاهراً ، كاد أن يفقده فى بعض المواضع اتزان المؤرخ وانصافه ، وفيما عدا ذلك فالكتاب يشهد بمجهود محمود ، وهمة مشكورة . م؟ محمود

ديوان صالح جودت

أتممت قراءة هذا الديوان لشاعرنا الشاب ، فأحسست روح لطيفة ونبرات ساحرة هادئة تطن فى أذنى ، وأشهد لقد أعجبتنى موسيقاه وصفاء ديباجته ، ولكنى عدت فنظرت فى بعض القصائد نظرة تمحيص وتعقيب فوقعت عينى على بعض الأخطاء اللغوية وصدمتني بعض القوافى ، ولو أن شاعرنا قد عني بنظمه أكثر من ذلك لكان لقصائده شأن غير هذا الشأن ، ففيها روح وفيها شاعرية لا يمكنك أن تنكرها عليه ، بل إن شاعريته لتستميلك حتى ولو لم تكن ممن يقبلون على الشعر ، هذا وإنى لأنكر عليه وأعاتبه فى شدة على تلك النزعة الطائشة التى جعلته وهو ذلك العصفور الغريد الوديع يضطرب فى أجواء خانقة ويتعثر فى أشواك موبقة ، ما كان أغناه عنها ، فانه فى الحقيقة لم يرجع بطائل ولم يفد شيئاً ، ولعله كان فى نزعته تلك متأثراً بقراءته أو مقلداً لغيره ، فانك لا تجد فى تلك القصائد التى جرته إليها المغالاة ، تلك الروح العذبة الرقيقة ، ولا تلك النغمة الهادئة الساحرة ، التى تجدها فى باقى قصائده . والخلاصة أن شعر صالح جودت كالذهب ، ولكنه « خام » لابد أن يستخلص مما يعلق به من الأوشاب

الخفيف

المرافعات والتوثيقات الشرعية

عني فضيلة الأستاذ الشيخ على قراعة رئيس محكمة الزقازيق الابتدائية الشرعية بوضع « كتاب الأصول القضائية فى المرافعات الشرعية — وكتاب مذكرة التوثيقات الشرعية » .

استوعب فى الأول طرق القضاء وقواعد المرافعات الشرعية ، وفى الثانى كل مايلزم الموثق والموثقين فى كتابة الاشهادات المنوعة وصور الدعاوى الشرعيـة ، والوثائق المختلفة ، مما لا يستغني عنه موظفو المحاكم الشرعية ، وطلاب الحقوق ، وأقسام التخصص فى القضاء الشرعى ، ويكون مرجعاً للقضاة والمحامين ومدرسى القانون والشريعة ، ويطلبان من المكاتب الشهيرة .